نورعالم خليل أميني

المسلمون في الهند

بين

خدعة الديمقراطية و أكذوبة العلمانية

دار الصحوة للنشر

محمد نصير

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب قصة اضطهاد المسلمين فى الهند ، فإن المسلم الهندى يعيش تجربة غير التى يعيشها المسلمون فى البلاد التى يشكل المسلمون فيها أقلية - إنها من تجارب محاولة الإبادة والتشريد أو الغزو الفكرى والعقيدى والثقافى والحضارى .

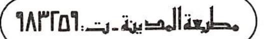
إنه يعيش سلسلة لا متناهية من الاضطرابات الطائفية والتصادم العنيف الذى تفرضه عليه الأغلبية الهندوكية الوثنية ضد المسلمين فى أرجاء الهند ، ويبدو أن الهندوس فى الهند مدنين وحكاماً وسلطات قرروا أن يقوموا بتكرير قصة الأندلس مع المسلمين الهنود وأن يقضوا عليهم .

إن هناك قضيتين تأتيان على رأس قائمة القضايا التى تهم الشعب الإسلامى الهندى هما قضية الأحوال الشخصية للمسلمين وقضية اللغة الأردية وهما تستقطبان القدر الأكبر من اهتمام المسلمين .

والله من وراء القصد ،

الناشر

دار الصحوة
٧ ش السراى بالمنيل . ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان . ت : ٦٨٨٠٧١
القاهرة



نور عالم خليل أميني

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٨ م

نور عالم خليل أميني

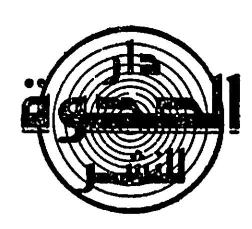
المسلمون في الهند

بين

خدعة الديمقراطية وأكذوبة العلمانية

في

النصف الأول من القرن العشرين



بسم الله الرحمن الرحيم

إلى قوة الأخلاق وأدب الضمير أيها المسلمون ! (١)

يبدو أن الهندوس فى الهند ـ مدنيين وحكاما وسلطات ـ قرروا أن يقوموا بتكرير قصة الأندلس ـ أسبانيا ـ مع المسلمين الهنود ، وأن يقضوا عليهم ويصفوهم جسديا وحضاريا وعقيديا ، أو يزعجوهم إزعاجا يضطرهم إلى الجلاء عن البلاد على بكرة أبيهم، حتى يعود الأسلام فى الهند أثرا بعد عين .

مضى على استقلال الهند أكثر من ٣٦ عاما ، ويعيش المسلمون الهنود مشكلات لا تعد ولا تحصى ، يضعها الهندوس فى طريقهم بمختلف سلوكهم الاجتماعى والسياسى فى البلاد ، إذ ما أن طلع فجر الاستقلال حتى فجروا سلسلة الصدامات الدموية والصراعات العنيفة المريرة الحزينة ، التى دأبنا نحن الكتاب أن نطلق عليها كلمة « الاضطرابات الطائفية » التى لا تعبر فى الواقع عن طبيعتها وجوها ومدى شرها وخبثها تعبيرا صادقا .. الصدامات التى ـ كما قلت أكثر من مرة ـ أصبحت كالماء والغذاء بتعاطى هذه الصدامات أو الاضطرابات لنعيش فى هذه البلاد أو لكى نحاول أن نعيش ..

وتأخذ هذه الأضطرابات الطائفية اتجاهات شتى عبر هذه الأعوام التى عشناها على أحر من الجمر كانت من قبل تفجر لكى تحصد أرواح المسلمين وأجسادهم ، وكان ضياع الممتلكات والأموال يأتى فى الدرجة الثانية .. لكنها فى الأعوام الأخيرة بدأت توقد فى المناطق والمدن التى أتيح للمسلمين فيها بتوفيق الله عز وجل أن يتقدموا بعض الشىء بفضل كدهم وعرق جبينهم تجاريا واقتصاديا وأن يزاحموا المواطنين الهندوس بعض الشىء فى مضمار الثراء

---

(١) نشر فى العدد : ٢٠/ السنة ٧ ـ يوم ٢٥/ اغسطس ١٩٨٤ م .

والرخاء •• بدأت توقد فى هذه المناطق بغية تصفية المسلمين الجسدية من جانب ، ونهب أموالهم وإبادة ممتلكاتهم من جانب آخر ، وحتى تعود البقية الباقية بعد هذه الاضطرابات الحاصدة للأرواح ـ بصورة عشوائية ـ عالة عليهم تتكففهم وتعيش على رحمتهم ، فيتمكنون من استغلال فقرهم وبؤسهم بصهرهم فى بوتقة الهندوسية !••

وبجانب الاضطرابات الطائفية قاموا دائما بتشويه التاريخ الإسلامى فى الهند ، واتهام الملوك والسلاطين ـ ظلما وعدوانا وزوراو بهتانا ـ بالظلم والبطش والتشدد والعنف وعدم التسامح بالنسبة للهندوس ، وقد ثبت فى ضوء التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن الملوك أو السلاطين المسلمين كانوا عادلين ومتسامحين مع الهندوس أكثر من اللازم ، وللحد الذى لا يمكن أن يبلغ الهندوس عشر معشاره فى يوم من الأيام ، ولا يمكن أن يتعاملوا مع مواطنيهم المسلمين بهذا التسامح والعدل بصورة من الصور ، لأن التسامح والعدل اللذين ـ تعامل بهما الملوك والأباطرة المسلمون مع رعاياهم الهندوس إنما كانا قبسا من نور الإسلام الذى كانوا يتبعونه ، وغير الإسلام لا يعرفهما •

وكذلك ظلوا دائما يكيلون السباب لنبيهم العظيم الخاتم سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ، ويسيئون الأدب معه فى خطاباتهم حينا وكتاباتهم حينا آخر ، لقد وضعوا ذلك فى الكتب الدراسية المقررة بالمدارس الحكومية ، وشوهوا فيها التاريخ الإسلامى العام •• ؟

ثم خطوا خطوة أخرى تدل على وقاحتهم الزائدة ، فاتهموا كتاب الله ، القرآن المجيد ـ بأنه يدعو إلى التفرقة العنصرية والعرقية ، ويدعو إلى الحرب مع غير المسلم ، وأنه كتاب يعلم بنيه الفساد والتخريب والتحريش ، وأنه مادام مصرحا له بالطباعة والتداول فى الهند فلا يمكن أن يقوم الوئام والانسجام بين المواطنين الهنود على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، ومن ثم تقدموا إلى المحاكم الهندية بطلب فرض الحظر قانونا على طباعته وتداوله ••

ولم يكتفوا بذلك فأضافوا اتهامهم للمسلمين بأنهم غير صادقى الولاء للهند ، وأن وطنيتهم مشبوهة ، وقوميتهم مخدوشة ، وأنهم يحبون باكستان أكثر من الهند ، وأنهم يرغبون فى السعودية وفى مكة والمدينة وفى البلاد الإسلامية أكثر مما يرغبون فى دلهى وبومبائى وكالكونا ومدراس وغيرها كما زعموا دونما دليل وعن غير حق — أنهم سباقون فى خدمة الوطن وتنميته ، وأنهم حدهم حاربوا الاستعمار الإنجليزى وخاضوا معركة تحـرير البـلاد ، على حين أن نصيب المسلمين دائما كان ولا يزال أكثر من نصيبيهم فى كل ذلك •• وقـد صدق تاريخ الهند أن الشعب المسلم لم يخن بلاده أبدا ، ولكنـه شهد بخيانتهم لبلادهم مرات كثيرة •• وشـهد أن المسـلم ضحى بنفسه وماله فى خدمة الوطن وصيانته فى أخطر المواقف وأحرجها عند ما قبعوا فى بيوتهم ، وأنه حمل القناة مدافعـا على حين كانت أيديهم لا تحمل تسوى الخقناب •

ولقد تبادروا إلى الاسـتيلاء على مسـاجد المسلمين وحولوها إلى معابد لهم ، وزعموا فى مئـات من المسـاجد — دونما وثيقة تاريخية — أنها كانت معابد لهم ، أو مساقط رؤوس آلهتهم ، فهدمها الملوك المسلمون وحولوها مسـاجد ، من بينها المسجد البابرى فى مدينة « أجودهيا » فى ولاية « اترابراديش » الذى استولوا عليه بتغاض من الحكومة المحلية والمركزية وبأمر من المحكمة المحليـة ، وبصورة لا شرعية ، وبقوة كونهم أغلبية وأصحاب سلطة ، وظلت العلمانية التى تتبناها الحكومة الهندية مشدودة الأيدى والأرجـل ومكبوتة اللسان ••

وصاح المسلمون لذلك عبر الكتابات والخطابات والصحافة ، ولكن بقيت الحكومة والزعماء والسلطة ساكتة ساكنة لا تتبس ببنت شفة ولا تتحرك خطوة ، وقد ضحى المسلمون عبر مـدة سنتين أو أكثر بأنفسهم وأموالهم فى كثير من مناطق البـلاد ، ولما رأوا أن صوتهم صار نداء فى واد ، قرروا ألا يشتركوا فى الاحتفال بيـوم

الجمهورية الهندية الذى يصادف ٢٦ / ينـــاير كل عـــام احتجاجا سلميا منهم •• فقام الهندوس — والمسلمون العلمانيون القوميون المزعومون — عبر الصحافة والإذاعة — وقعدوا ، وبـــدأوا يتهمون المسلمين بكونهم أجانب يتحتم إجلاؤهم من الهنـــد وأن الزعمـــاء المسلمين الذين نادوا بذلك يجب إعدامهم شنقا ، أو نفيهم من البلاد، أو على أقل تقدير سحب عضويتهم للبرلمان إذا كانوا أعضاء فيه ، أو عضويتهم من الأحزاب فى آخر الأمر ••

وبصرف النظر عن كون الدعوة إلى عدم المشاركة فى الاحتفال بيوم الجمهورية دعوة شرعية — وقد ثبت أنها شرعية فقـــد قام بها عمليا أبو الأمة المهاتما غاندى — نسأل هؤلاء الزعمـــاء الهندوس وغير الهندوس : أين كنتم عندما استولى الهندوس على المســـجد البابرى بصورة لا شرعية ؟ لماذا لم ترفعوا أصـــواتكم عنـــدها ؟ لماذا توقفت أقلامكم ، ضاع عندكم العدل والإنصاف ، ونامت فيكم الوطنية ، خانتكم عندها العلمانية ، وفارقتكم روح المساواة وحب التسامح ؟

ليعلم المواطنون الهندوس أن المسلمين لن ينسحبوا من الميدان، وأنهم لن يجلوا من البلاد ،وأنهم لن يتنازلوا عن شخصيتهم الإسلامية ومميزاتهم الدينية ، ولن يتخلوا عن أدنى ما يمت إلى حضـــارتهم وثقافتهم بصلة ، وأن وطنيتهم أصدق بكل دليـــل ألف مـــرة من وطنيتهم ، وليعلموا أن ذلك ليس طريق التعايش السلمى الذى تقرره الأخلاق والآداب والقوانين الدولية للأغلبية حتى تتعامل بها مـــع الأقلية ، وليتأكدوا من أن التطرف لن يولد إلا تطـــرفا أعنف منه ، وأن الظلم عاقبته وخيمة ، وأن العنف يؤدى إلى عنف أشد ، وأن مجتمعا ما لا يزدهر على العصبية والتناحر والتمزق الداخلى وبطش الأغلبية بالأقلية ، وعلى قانون الغابات ، وأن الله — خالق الأرض والسماء ومالك الهند والصين وروسيا وأمريكا واليابان والباكستان وكل البلاد — لا يحب الفساد فى الأرض •• وأن الأمة لا تنمو فقط بقوة العدد والعدد بمثل ما تنمو بقوة الأخلاق والمواســـاة وأدب الضمير وروح الإنسانية والعدل والتسامح ••

محنة المسلمين فى الهند (١)

بيدو أن المسلمين فى الهند قد كتب لهم أن لا يتخلصوا من محنة إلا ويتورطوا فى محنة بل محن أخرى أشد منها .. كانت النار التى يشعلها المواطنون دائما فى مدينة أو قرية فى أرجاء البلد ليحصدوا من خلالها أرواح إخوانهم المسلمين وممتلكاتهم ، والتى يطلق عليها اسم « الاضطراب الطائفى » هذا الاسم الذى لا يعبر عن طبيعتها وحقيقتها تعبيرا صادقا ، كانت تلك النار للمسلمين كوجبتى الغذاء والعشاء اللتين من اللازم أن يتناولهما المسلم لكى يعيش !!

ثم جاء دور النيل من كرامة الإسلام والإساءة إلى نبيه عليه الصلاة والسلام فى الصحف والمجلات ، فى الكتب والمؤلفات الدراسية وغير الدراسية ، واكبه الهجوم على القانون العائلى للإسلام والأسلام الشخصية للمسلمين ، ومحاربة اللغة الأردية التى اختارها المسلمون كوعاء للثقافة والعلوم الإسلامية فى هذه الديار — بعد ما طوى بساط اللغة الفارسية — رغم أنها لغة وطنية أصلية ومشتركة ، وخلال ذلك حلا لبعض الهندوس فى « كلكتا » عاصمة البنغال الهندية ، أن يعرض مذكرة فى المحكمة العالية يتحدى من خلالها قدسية القرآن زاعما أنه يحرش بين المواطنين ويدعو إلى الفرقة والشتات ، وقد أثبتت الحكومة الإقليمية والحكومة الهندية المركزية تعقلها فأصدرت على الفور أمرا رسميا عاجلا جدا إلى المحكمة برفض المذكرة دونما تأخير ، وقد سمعت المحكمة وأطاعت من ساعتها .. مما دل دلالة واضحة على أن الحكومة تستطيع أن تحل كل مشكلة فى ظرف أيام إذا صحت نيتها وصدقت إرادتها ، وأن قضية ما لا تصير صعبة الحل إلا بشىء

(١) نشر فى العدد : ١٩/ السنة ٧— يوم ٨/ اغسطس ١٩٨٤ م.

كثير من الاهمال والماطلة الذين تلجأ إليهما الحكومة تحت ضغط من العناصر المتطرفة حينا وجريا وراء مصالحها حينا آخر ..

ولقد تبلور ذلك فى موقفها من الأحوال الشخصية ، ومن الوضع المكهرب الذى خلقه حكم المحكمة العليا الهندية بوجوب النفقة للمرأة المسلمة المطلقة على زوجها فيما قبل العدة وما بعدها ، حيث إنها أعملت من التأجيل واللف والدوران ما زاد الوضع سوءا ، وعقد القضية أكثر من الحد المعقول ، وأتاح للمحاربين للإسلام والصائدين فى الماء العكر ، والمستغلين لوضع الظلام والضباب أن يثيروا غبار الشكوك فى وسط المتنورين والتقدميين والمتحررين من المنتمين إلى الإسلام ، حتى تتقوى المطالبة بتنفيذ القانون المدنى الموحد .

هذا فى جانب وفى جانب آخر أثار هذا الموقف من الحكومة شكوكا فى أوساط جمهور المسلمين فى كونها حيادية ومخلصة فى إعلانها عدم التدخل فى قضية الأحوال الشخصية للمسلمين ..

غير أن المسلمين تحت إشراف زعمائهم وقادتهم الدينيين ظلوا صفا واحدا وصوتا واحدا فى مطالبة الحكومة بإعطائها الشريعة الإسلامية ضمان الصيانة وعدم التدخل بصورة من الصور .. ولا يزالون ساهرين على هذه المطالبة تحت هيئة مستقلة ذات فعالية مثالية باسم هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين ، التى أقامها وقام على إدارتها أبناء الجامعة العريقة — دار العلوم — ديوبند — التى كانت المعقل الإسلامى الأكبر ، وكانت لها الريادة فى خدمة الإسلام والمسلمين فى هذه القارة الهائلة ، ولايزالون هم العمود الفقرى فى الهيئة بتوفيق الله .. وبدأت جهودهم المتسمة بالصمت والهدوء والاستمرارية المتسمة بالإخلاص — وهو ضمان النجاح فى كل قضية — تعطى ثمارها ، وسيأتى يوم يفرح فيه المؤمنون بنصر الله .

وتلا ذلك كله حركة السيطرة على مساجد المسلمين العريقة فى

كثير من المدن ــ بالإضافة إلى حركة تشويه تاريخ الحكم الإسلامى فى الهند واختلاق التهم ضد الملوك المسلمين بالظلم واللاعدل واللامسامحة ، واصطناع الوثائق لذلك ــ بزعم أنها كانت فى الأصل معابد لهم فهدمها الملوك المسلمون وبنوا على أنقاضها مساجد .. ويزعمون ذلك دونما وثيقة تاريخية فى مئات من المساجد العريقة ذات الأهمية فى كثير من المدن الكبيرة فى الهند .

كان من بينها « المسجد البابرى » فى مدينة «أجودهيا » بمديرية « فيض آباد » بالولاية الشمالية المدعوة بولاية « اترابراديش » الذى بناه « مير باقى » أحد ضباط الملك « بابر » حفيد تيمور لنك ومؤسس الدولة المغولية التى كانت أكبر الدول الإسلامية فى الهند وأطولها زمانا وأقواها بنيانا وأكثرها تأثيرا وأبقاها آثارا وأخلدها ذكرا وأرقاها حضارة ، وكان من ملوكها الملك الصالح « أورنك زيب عالمكير » المتوفى ١١١٨ هـ الذى يسميه المؤرخون الإسلاميون الثقات بسادس الخلفاء الراشدين ، بعد خامسهم عمر بن عبد العزيز الأموى ، وذلك عام ٩٣٥ هـ على أمر من ملكه كما يدل على ذلك اللوح الحجرى المنصوب على واجهة المسجد والذى يتضمن أبياتا فارسية تبين تاريخ بناء المسجد واسم بانيه ..

وظل المسجد منذ بنائه عام ٩٣٥ هـ الموافق ١٥٢٨ م يعبد فيه الله وحده ، ويذكر اسمه ، ويرفع ذكره ، حتى جاء عام ١٢٧١ هـ فوضع بعض الهندوس بمؤامرة محبوكة تماثيل بعض آلهتهم فى المكان المعد للوضوء فى جانب المسجد ، وزعموا أن هذا المكان هو مولد إلههم « رام » وكان العهد عهد « واجد على شاه » الشيعى آخر أسرياء ولاية هذه المنطقة المسماة بولاية « أودها » وآخر حكامها المسلمين ، ولكن هذا الحادث الأليم لم يحرك منه ساكنا ، بل حاول بتعاون من الإنجليز أن لا يثور المسلمون لذلك ، بل إنه قاوم بجنوده المجاهدين من العلماء الذين هبوا لتطهير المسجد من

الأصنام ، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم النبيلة واستشهدوا في سبيلها ، ومن هذا الوقت بقيت نواة الفتنة ، ونهض الهندوس يزعمـون أن المسجد هو مولد إلههم « رام » وأن الملك المسـلم « بابر » بناه بهدم المعبد الذى كان فى هذا المكان ٠

وأخيرا رفعوا الدعـوى إلى المحكمـة واشـتد الصراع بين المسلمين والهندوس فأقفلته الحكومة عام ١٩٥٢ ، ولا تزال المحاكمة جارية فى المحكمة العالية فى مدينة « اله آباد » ولم تبت المحكمـة إلى الآن بكون المسجد ملكا للمسلمين حتى يسلم إليهم ويسمح لهم بالصلاة والعبادة فيه ، أو بكونه معبدا هندوكيا ومولد « حتى يسلم للهندوس ٠٠ ولكن محكمة المديرية وسلطتها قد فتحت باب المسجد على مصراعيه وسمحت للهندوس بالعبـادة فيه فى ١٩٨٦/٢/١ م يوم السبت المـوافق ١٤٠٦/٥/٢٠ هـ وذلك بضغط من الهندوس وبالإنحياز إليهم ضاربة عرض الحائط بأهمية المحكمة العليا ، وكل القوانين الخلقية والاجتماعية ، ومتغاضية عن الأوضاع المكهربة فى البلد ، وعن وحدة البلاد وعلمانيتها وجارحة شعور الشعب المسـلم الهندى ٠٠

وكان الهندوس منذ عامين قد صعدوا حركة الاسـتيلاء على المسجد ونظموا لذلك موكبا كبيرا جال مختلف أنحاء البلاد يحمل معه تماثيل «رام» وزوجته « سيتا » وألقى قادة الموكب فى كثير مـن المدن والقرى الجامعة خطبـات نارية مثيرة لعواطف الهنـدوس الدينية وجارحة لمشاعر المسلمين فى وقت واحد ، وهددوا الحكومة ؛ وحددوا تاريخا وطالبوا الحكومة أن تفتح المسجد وتسلمه اليهم فى ظرف هذه الأيام ، وإلا فإنهم سيستولون عليه بقوة الساعد والسنان ويقدمون لذلك كل تضحية ٠٠

وكان من الطبيعى أن يثور المسلمون لذلك فى طـول البـلاد وعرضها وأن يحتجوا ضد هذه اللاشرعية واللاعدل واللا أخلاقية

التى أثبتتها السلطة المحلية ومحمتها السافلة التى ليس لها قيمة فى مقابل المحكمة العليا تلك التى لم تبت فى القضية بلا أو نعم •

ولقد كان من الطبيعى كذلك أن يقع الصدام بين الهندوس والمسلمين فى أنحاء البلاد ولا سيما المديريات المجاورة للولاية ، حيث كان الهندوس يقيمون حفلات الفرح بينما كان المسلمون ينظمون مواكب الاحتجاج والمظاهرة ، ورغم أن قادة المسلمين أعلنوا التعقل وضبطوا أعصابهم ، وسيطروا على مشاعرهم المتفجرة كالبركان ، وأخذوا الشعب المسلم بالصبر وإعمال الحكمة والتقيد بالشرعية وقانون الأمن والنظام ، وخوض المعركة بسلاح القانون وسلاح الوثائق التاريخية التى تؤيدهم إلا أن سخط المسلمين وفرحة الهندوس لا تزالان تتفاعلان فى كثير من الأمكنة •

وتفيد الأنباء الواردة من أنحاء البلاد أن جميع المدن والقرى أصبحت اليوم مكهربة ، وأن رجال البوليس والشرطة نشيطون فى كل الأمكنة للسيطرة على الوضع •

والمسلمون كل اعتمادهم على الله ثم على الوثائق التاريخية التى تصرح بكون المسجد مبنيا على مكان شاغر وأنظارهم مشدودة إلى الحكومة المركزية والإقليمية ومحاكم البلاد ، ينتظرون بفارغ الصبر أن تتمسك الحكومة بالقانون ، وتحكم المحاكم بالعدل وتلزم الحياد !! والله وحده ولى المسلمين فى هذا البلد وفى كل مكان •

لقد كان من المكن أن تهون مصيبة المسلمين ــ لو أن الهندوس سيقتصرون على المسجد البابرى هذا ، ولكن الذى يزيدهم هما على هم مطامع الهندوس التوسعية فى شأن مساجدهم لا تقف عند حد ، لأنهم يزعمون أن هناك مئات من المساجد التى كانت معابد لهم فحولها الملوك المسلمون مساجد ، فلا بد من إعادتها إلى سيرتها الأولى •

استمرار الاضطراب الطائفى (١)

يبدو أن الاضطرابات الطائفية والاشتباكات الدامية بين الهنادك والمسلمين ، صارت شيئا طبيعيا يمارسه الشعب الهندى كالماء والهواء أو داء مستشريا لا ينفع فيه دواء ، فلا ينطفىء حريقها فى مكان إلا ليقع فى مكان آخر ، وفى الأغلب يمتد لهيبه إلى الأمكنة المجاورة ، وينتشر فى مساحة واسعة انتشار النار فى الهشيم.

وعاد الشعب المسلم الهندى يعيش دائما وفى طول الهند وعرضها وضعا مخوفا قلقا ، لا يدرى فى أى وقت يقع حريق الاضطراب والصدام بينه وبين إخوانه المواطنين من الهندوس ، فيأتى على الأخضر واليابس من كل ما عنده من مال وعرض ، وبيت يؤويه ، ودكان يتكسب به ، ويبيد فى لحظة واحدة ما جمعه فى سنين وأعوام .

كانت مناطق الشمال — التى تلاصق المناطق التى قامت فيها دولة باكستان — وبعض مناطق الجنوب التى كانت تحت إمارة « حيدر آباد » هى مسرح الصدام بين الهندوس والمسلمين ، والمناطق الأخرى كانت إلى حد كبير فى مأمن منها ، ثم أضحت بعض مناطق ولاية « بيهار » فى شرقى الهند مسرح الاضطراب الطائفى ، وصارت ذات حساسية زائدة تشتعل فيها فتيلة الصدام بين الطائفتين بأدنى مسة ، بسبب أن المواطنين الهندوس فى تلك المناطق يبدو أن طينتهم قد عجنت بغلظة ، وحساسية دينية أكثر ، مع سرعة الغضب ، والثورة وضيق الأفق ، نلمس كل ذلك فى كثير من مواقفهم فى الحياة المختلفة، لهذا تكررت الصدامات بين الهندوس والمسلمين فى « جمشيد بور » وفى مناطق « سيتامرهى » و « رانتشى »

---

(١) نشر فى العدد : ١٨/ السنة ٧ — يوم ٢٥ / يوليو ١٩٨٤ م.

و « هــزارى باغ » و « كيا » و (بورنيا) وأخــيرا فى (بيهــار شريف) •

ثم أضحت كبرى مناطق ولاية « اترابراديش » مجالا خصبا للاضطرابات الطائفية ، وفى بعضها أخذت صورة حرب أهلية شديدة مثل مدينة مراد آباد الصناعية ، ومدينة « ميرتها » التى تعــرف بصناعة المقراض ، ومدينة « عليجــراه » التى تختضن الجامعــة الإسلامية العصرية و « آكرا » التى فيها « التــاج محل » الدرة اليتيمة فى فن البناء والهندسة ومدينة « سنيهل » التى أحــرق فيها إمام مسجد فى مسجده مع أوراق المصاحف ، ومدينة « بنــارسى » المقدسة لدى الهندوس •

ومنذ أعوام امتد لهيب الاضطراب إلى مناطق الجنوب وتكررت الصدامات الشديدة فى « أحمد آباد » و « حيدر آباد » •• والمدن المجاورة ، « وماليكاون » و « بونا » و (بنكلور) و (بروده) •

وأخيرا وقع الصدام — الذى كان كحرب مسلحة — فى مدينة « بهيوندى » (BHIWANDI) المجاورة لمدينــة « بومبــائى » وامتدت مساحته إلى (بومبائى) نفسها ، وكانت المدينة وما جاورها من الأمكنــة معروفة بأمنها وهــدوئها ، وحب أهاليها للســلام ، واحترامهم للنظام ، وتقيدهم بالقانون العام ، وإذا كانت المــدن الكبرى فى الهند قد ذاقت مرارة الاضطرابات بصورة أو بأخرى ، فإن « بومبائى » كانت مضرب المثل فى أمنها وهدوئها إلى الآن ••

وإذا كانت كل الاضطرابات الطائفية بين الهندوس والمسلمين قد سببت خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات الشخصية والقومية، فإن ما وقع ولا سيما فى مدينة « بهيوندى » كان عملية وحشــية لا ينساها تاريخ هذا البلد ، حيث زج بأكثر من عشرين مسلما إلى غرفة ، وأحرقوا فيها أحيــاء ، ولقى أكثر مــن ثلاث مائة شخص مصرعهم خلال هذه الصدامات الدموية فى المدينتين •

هذه أسماء مدن ومنـــاطق ذات حســـاسية ، اطردت فيهـا الاضطرابات ، أما كان المدن والقـــرى التى عانت منها فإنها تعـــد بالآلاف ، فقد لا يمضى فى البلاد يوم لا يقع فيه اضطراب ، حتى أصبحت الاضطرابات والاشتباكات تستنفد الكثير من جهود الحكومة، وإمكانياتها وقدراتها بجانب إضـــاعة الطاقات البشرية والكفـــاءات والأهليات التى لو استغلت فى الايجابيات لأتت بكثير مما ينفـــع ، ويساعد على تقدم البلاد ونموها ..

الجيل الهندوكى الجديد (١)

لا يرى للمسلم الهندى حق البقاء فى الهند

إن الاضطرابات الطائفية توشك أن تؤدى بالبلاد إلى حرب أهلية ، فلا تكاد تهدأ نارها أو يخف أوارها إلا بتدخل الشرطة المسلحة والجيش ، وبعد أن تكلف خسائر ضخمة فى الممتلكات القومية والشخصية ، بجانب الضحايا البشرية .

وإذا رحت لتدرس الأسباب الدافعة إليها فستجد جلها نابعة من النظرة الضيقة التى ينظر الهندوس إلى المسلمين فى إطارها : نظرة فيها الاحتقار والكراهية التى توارثوها جيلا بعد جيل ، فالمسلم عندهم نجس صوته ، وجسمه ، وثيابه وأوانيه ، ولذلك فالهندوكى لا يأكل فى إناء أكل فيه مسلم ، ولم أنس القصة التى وقعت لى مع نساء من الهندوس فى قريتى وأنا طفل فى السابعة من عمرى أو أقل منها ، ومعى أختى الكبيرة . كانت بعض نسائهم ينزعن الماء من بئر ، فنزلنا إليهن لنشرب الماء وأمسكت فى سرعة بدلو فى يد إحداهن فى بساطة الصغير حين يعامل فى بعض مواقف الحياة ، فما راعنى إلا الزجر الشديد الذى تعالت به أصواتهن المنكرة فى وقت واحد ، مما أدخل على قلبى الصغير من الخوف ما لا يمكن وصفه الآن ، وأخذت الرعدة تتمشى فى جسمى ، فلما أفقت سألت أختى عن سبب المعاملة التى قوبلنا بها منهن ونحن صغيران فقالت : أنت مسست بيدك دلوهن فتنجست ..

وإذا كانت الأحوال قد تغيرت كثيرا بفعل الحضارة والعلم والتربية التى أخذوا بطرف منها ، وبدأوا يأكلون مع المسلم وفى

أوانيه ، وقد يتناول بعضهم منهم الأطعمة المطبوخة لدى المسلم ، فإن العقيدة الراسخة فى عمق العقلية الهندوكيــة ، لاتزال تعمــل عملها ، ولا يكاد حتى المتحضرون منهم والذين اتسع مكــرهم عن طريق الدراسة والثقافة لا يكادون يبارحون هذه العقيدة .

وهناك أسباب أخرى قد يمكن ارجاعها إلى السبب السابق ، فالهندوس يعتقدون — عن عصــبية عمياء — أن المسلمين دخــلاء عليهم توافدوا من الخارج وحكموهم سبعة قرون أو أكثر ، وغمطوهم حقوقهم ، وغصبوا منهم هذه الملايين التى أسلمت وكانت من قبل هندوســا ، وأن الملوك المسلمين لم يتعاملوا معهم بقانون العــدل والمساواة ، وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية ، وأنهم ســلبوهم حريتهم الدينية والاجتماعية ، وكان المسلمون فى زمنهم سادة وهم عبيد ، وكانوا مستعمرين — وأشــد استعمارا من الإنجليز ، وأن العهود الإسلامية فى الهند كانت عهودا مظلمة ، لم تشهد فيها البلاد تقدما أو ازدهارا أو رفاهية بالقياس إلى البلدان الأخرى فى العالم .

ولقد عمل الإنجليز بدورهم على غرس هذا الشعور فى أذهان الهندوس ، ولا سيما فى عهــدهم الأخير ، حينما بدأوا يحســون نهايتهم وسقوطهم وجــلاءهم عن الهنــد ، وحينما بدأت تباشــير الاستقلال ، أكدوا لهم بأســاليب شتى ، أنهم كانوا عبيدا ، وكان المسلمون ملوكا وكانوا يعيشــون استعمارا شــديدا وحــذروهم من أن يقعوا فريســة الاستعمار المسلمين الذى ســبق استعمارهم لأن المسلمين خطرهم الدائم وعدوهم القائم .

هذا الشعور الذى نجم فى العقلية الهندوكية خــلال معــركة تحرير الهند ، قد شب ونما خلال أيام الاستقلال ، ونضــج فيما بعده ؛ فألفت كثير من الكتب ، ودخل عــدد كبير منها فى المقررات الدراسية الرسمية ، تنفث هذه السموم فى الجيل الناشئ للهندوس ، بجانب أســاتذة المدارس والجامعات الهنــدوس الذين دأبوا على

اختلاق مزيد من الأكاذيب فى محاضراتهم الدراسية ينمى فى قلوب التلاميذ الحقد والعداء والكراهية ضـد الإسـلام والمسلمين ٠٠ وبجانب حركات ومنظمات هندوكية متطرفة تشعل عاطفة الهندوس الدينية ، وتضرب على وترهم الحساس وتدعو لإخـلاء البلاد من المسلمين الدخلاء ، و « هندكة » الهند بإقامة دولة هندوكية ، تنفذ جميع الشرائع الهندوكية ، ولا مجال فيها إلا لمن يعيش منصهرا فى بوتقة العقيدة الهندوكية والتيار الهندوسى ٠

الجيل الهندوكى الذى عاش مع المسلمين فى معركة التحرير ، أو قبلها والذى كان يقر للمسلم بالفضـل لهذه البلاد ، فقـد رأى شدة بلائهم وصدق ولائهم للوطن خلال معركة التحرير ، هذا الجيل قد انقرض أو كاد أن ينقرض تماما ، والشعب المسلم الهندى اليوم يواجه جيلا شب على هذا الشـعور البغيض ، فلا يرى للمسلمين حقا فى البقاء فى الهند ٠

لو أن إخواننا الهندوس أنصفوا ، لعلموا أنهم هم الآخرون دخلاء وافدون على هذا البلد ، جاؤا قبل المسلمين بقرون من العراق أو من حوض البحر الأبيض المتوسط — على اختلاف المؤرخين — وليسوا سكان البلد الأصليين كما يزعمون ، وكل الفارق بينهم وبين المسلمين أنهم سـابقون والمسلمين لاحقـون ، ولعلموا أن المسلمين منحوهم دولة موحدة وكانت الهند قبلهم إمارات موزعة متصارعة ، وأنهم أخرجوهم من ظلمات البداوة والهمجية إلى نور الحضـارة والتمدن ، وانتشلوهم من الحياة البدائية السخيفة — التى لو كشف عنها القناع لضحك عليها الإنسان اليوم — إلى حياة راقية مهذبة ، بالإضافة إلى أمن وسلام ، وحب ووئام ونظام كان كله رحمة بهم ، وعاشوا فى العهد الإسـلامى الهدوء والسـلام والعـدل الذى لم يعيشوه فى عهد الإمارات المفككة ٠

نحو دراسة لأسباب الاضطراب الطائفى (١)

يرى الهندوس أن المسلمين بعد استقلال البلاد فصلوا منها جزءا كبيرا وأقاموا فيه دولة إسلامية باسم باكستان ، فليكن الجزء الباقى دولة هندوكية خالصة ، ولينسحب المسلمون منه إلى دولتهم ، ومن منطق هذا الشعور يشك الهندوس دائما — ويشككون الآخرين — فى ولاء المسلم الهندى للهند ، ويقولون إنه ليس مواطنا صادقا ؛ لأنه يحب باكستان أكثر من الهند ، ومحط نظره هو العالم العربى والعالم الإسلامى والسعودية ، ويعيش فى الهند وقلبه معلق دائما بمكة والمدينة ، وإن خدمته للوطن مشكوك فيها ، وخدمته للمصلحة الوطنية المزعومة حبالة خداع ، ونحن المواطنون المخلصون الذين يعملون ليل نهار لتنمية البلاد ، بينما هم لا يعملون إلا للإسلام ، ولا يفكرون إلا فى باكستان .

وزاد الطين بلة ما وقع من حادث إسلام عدد من الطبقة المنبوذة من الهندوس — طبقة « الشودر » — التى يعتقد فيها الهنادك أن الإله « برهما » قد خلقها من قدميه ، وجعلها خادمة للطبقات الثلاث : البراهمة التى خلقها « برهما » من وجهه وعهد إليها بالأمور الدينية ، والكشتريين التى خلقها من ذراعية وعهد إليها بالإدارة وبالجندية ، والويشى التى خلقها من فخذيه وعهد إليها بالزراعة والتجارة .

كانت طبقة الشودر المنبوذة مقتنعة راضية بما قسم لها الإله وأسند إليها من الوظيفة ما لم تر نور العلم والحضارة والثقافة ، ولكن تغير الحال بعد ما انفتحت عينها ، ونورت الثقافة الظلام الذى غشى أكواخها ، واطلع المثقف منها عن طريق الدراسة على ما يتميز به الإسلام من مساواة وعدل اجتماعى واتزان دينى ، وقارنت بين

الإسلام وبين ديانتها التى حرمتها المساواة ، وفرقت بينها وبين أبناء عقيدتها الآخرين ، حتى فيما يتعلق بأبسطمبادىء الإنسانية والعدالة الاجتماعية ، فأرادت أن تأوى إلى شاطىء الإسلام نجاة من الأمواج المتلاطمة من الظلم وغمط الحقوق ، والاستبداد وسوء الاستغلال ، والذل والمهانة ، التى لقيتها من أبناء ديانتها ورضيتها لها ديانتها .

وهنالك آثار الهندوس ضجة ، وقالوا : إن ثروة البترودولارات التى تفيض بها دول الخليج العربية الإسلامية تهرب إلى الهند عن طريق المسلمين الهنود ، لتصيد السذج من الهندوس ، واشتراء دين الفقراء والبؤساء منهم بالمال والثروة ، وأن هذه الدول الإسلامية والعربية تمول الجهات الإسلامية والتبشير الإسلامى فى الهند ، وتغدق عليها خزائنها فى سخاء ، وأن ذلك كله يتم تحت خطة مدروسة مبيتة لتحويل الهند إلى دولة إسلامية عن طريق تحويل الأغلبية مسلمة .

فنشطت الحركات والمنظمات الهندوكية المتطرفة القديمة ، كما قامت حركات ومنظمات جديدة ، كلها تطلب من الحكومة أن تتخذ اجراءات وقائية لصيانة الهندوكية من الإسلام ، وأن تفرض الحد على تبديل الديانة بوضع قانون منستقل ، وهذه الحركات ، تقيم دائما حفلات وندوات فى أقطار الهند ومدنها المركزية وقراها الهامة ، تؤلب الهندوس ضد المسلمين وتوحدهم وتنظمهم وتدربهم على الرياضة العسكرية ، وتعد ما تستطيع من قوة لمحاربة الإسلام المستشرى فى الهند .. ويلقى زعماؤها وقادتها خطبا ملتهبة ضد الإسلام والمسلمين ، تثير عاطفة الهندوس الدينية ، كما تثير غيرة المسلمين وحفيظتهم ، فيقع الصدام .

والشىء الجدير بالملاحظة والتسجيل أن ثروة دول الخليج العربية لا يحظى المسلمون الهنود منها بعشر معشار ما يحظى به

الهندوس ، وذلك أن معدل العمال والموظفين المسلمين قليل جدا بالقياس إلى العمال الهندوس ، فقد لا يشكل المسلمون نسبة ٢٥٪ بالقياس إلى العمال الهندوس ، فقد لا يشكل المسلمون نسبة ٢٠٪ من مجموع الموظفين والعمال الهنود •• وأما المساعدات التى قد تمنحها الجهات الدعوية والإسلامية ، فهى لا تذكر فى مقابل مجموع الثورات العربية التى يحملها العمال والموظفون الهندوس من دولة الإمارات العربية المتحدة وحدها •

ومن أجل استنفاد صبر المسلمين فيما بعد الاستقلال واستثارة عاطفتهم الدينية ، لايجاد مبررات للصدام معهم ، كثر التحامل على الإسلام ونبيه سيدنا محمد ـ ﷺ ـ والإساءة إلى شخصه ، ولا نعلم فيما قبل استقلال البلاد إلا حادثين فقط ، أما فيما بعد الاستقلال فلا يمكن إحصاء الحوادث التى وقعت وتقع فى هذا الشأن ، فألفت مآت من الكتب الدراسية التى يقرؤها الناشىء الغر فيسيغ كل ما يقرأه عن النبى ـ ﷺ ـ وعن الإسلام وتاريخه من التهم والافتراءات ، هذا عدا ما يصدر من الزعماء الهندوس فى خطبهم ومحاضراتهم هنا وهناك •

لقد ذكرت جميع التقارير عن الاضطراب الطائفى الذى وقع منذ عهد قريب فى مدينتى بهيوندى وبومبائى أن السبب المباشر فيه كان الإساءة إلى شخص الرسول ـ ﷺ ـ والتى قام بها أحد زعماء حركة « شيوسينا » فى إحدى خطبه ، كما طعن فى دين المسلمين وولائهم للبلد ، واستمر ذلك نحو شهر ، ولفت المسلمون أنظار الجهات الرسمية المسئولة إلى هذا الجانب ، ولكن بدون جدوى ، فوقع بعد تأزم الجو من الصدام العنيف بين الهندوس وبين المسلمين ما لم يهدأ إلا بتدخل الجيش •

ومن حين لآخر يصدر بقلم كاتب هندوكى كتاب أو مقال يسيىء إلى الإسلام وإلى نبيه عليه الصلاة والسلام •

وقد صدر حديثا كتاب فى اللغــة الهندوكية ، ألفه عـــدد من المؤلفين هم أســاتذة فى الجامعات والكليـات الرســمية فى ولاية « اترابراديش » ، والكتاب داخل فى المقررات الدراسية ، جاء فيه من التهم التى ألقيت على الإســلام وشخص الرســول — ﷺ — الخلفاء الأربعة والتاريخ الإسلامى ما يستحيى القلم عن نقله هنا ، ويكاد الجو يتأزم فى هذه المنطقة أيضا •

وقد يتحمل المسلمون الإساءة إلى أنفسهم أو إلى الإســلام أو إلى التاريخ الإسلامى ، ولكنهــم لا يحتملون — على علاتهم — أدنى إساءة إلى شخص الرسول — ﷺ — ولذلك فما أن يقــع فى مكان مثل هذا الحادث إلا ويتلبد الجو بغبار التوتر والتأزم ، ويقع الصدام بين الهندوس والمسلمين ، إن لم تكن أجهزة الأمن المسئولة قد اتخذت إجراءات وقائية بسرعة مطلوبة ، وإن لم يكبت المسلمون بدورهم عواطفهم ويكظموا غيظهم •

ويبدو أن المواطنين الهندوس بدأوا يكثفون أخيرا هجماتهم على الإسلام والمسلمين ونبى الإسلام — ﷺ — ، فى خطبهم وكتاباتهم بهدف إثارة المسلمين وإعدادهم لصــدامات تؤدى أخيرا إلى تحملهم مسئولية الاضطراب الطائفى •

ويضاف إلى ذلك :

أن الزعماء قد يستغلون حادثا بسيطا أو خلافا عاديا بهــدف نفوذهم وتحقيق مآرب شخصية لهم أو لحزبهم ، أو كسب الاعجاب والتقدير لدى أفراد الطائفة التى ينتمون إليها ، حتى ولو كان ذلك الحادث سهلا يمكن أن يمر دون شجار ، وذلك شىء لا يستغرب فى مجتمع يتألف من أديان ونظريات عديدة •

لكن الزعماء لا يرضون إلا إثارة عواطف طائفتهم ضد طائفة أخرى ، وتضخيم حادث بسيط فى أعينها ، وإغرائها بأخذ القانون فى

أيديها ، وعدم الثقة فى السلطة ، واتهام الحكومة بأنها واقفة بجانب الأقليات ولا سيما الأقلية المسلمة •

وقد يكون الزعماء الدبلوماسيون هم السبب المباشر فى وقوع الاضطراب الطائفى ، حيث يحاولون الإساءه إلى سمعة الحزب الحاكم والتقليل من شعبيته ، رغبة فى كسب حزب من الأحزاب المعارضة — التى ينتمون إليها فى الانتخابات القادمة — الأصوات المطلوبة إلى كرسى الحكم ، أو — على الأقل — يسقط الحزب الحاكم •• ومعنى ذلك أن الوصول إلى كرسى الحكم بحيلة أو بأخرى أو إسقاط الحزب الحاكم فى الانتخاب وإزاحته عن الحكم شيء يمكن التضحية فى سبيله بكل غال ورخيص حتى بالنفوس البشرية والممتلكات القومية والشخصية ، والسلام الوطنى ، والأمن المدنى ، والثروة الوطنية ووسائط التنمية والإنتاج ، ووسائل التقدم والازدهار •• وهؤلاء هم الذين إذا بلغوا إلى كرسى الحكم يصرخون من أعماقهم بإطلاق دبلوماسى خائن أو سياسى غادر ، ينال جزاءه من شعبه فى بلد من بلاد القارات الخمس •• يطلبون ذلك باسم الإنسانية ومالها من حقوق •

— وإذا تأزم الجو فى مكان ووقع الاشتباك بين الهندوس والمسلمين ينحاز جهاز الأمن والإدارة إلى الأغلبية ، وبما أن أغلب رجال الأجهزة الادارية والأمنية من الهندوس •• وهم — لا شك — يكونون قد انفعلوا بالدعايات المستمرة ضد الأقلية الإسلامية — فأنهم سوف يمنحون المتطرفين المثيرين للفتنة كل حرية لتأليب الأغلبية ، وتعبئة قواها •

وعندما يشتد الصراع ويطول الصدام ، تتدخل الشرطة — أو الجيش أحيانا — وهى الأخرى تساند الأغلبية ، لأن الأغلبية فى الشرطة للهندوس ، وفضلا عن تسممها ضد المسلمين ، فإن الصدام الواقع بين الهندوس والمسلمين يتحول إلى الصدام بين الشرطة

ورجال الأمن وبين المسلمين ورجال الشرطة لا يكتفون بقتل المسلمين وإصابتهم بجروح ، بل يتوغلون فى بيوت المسلمين وينهبون مالهم ، وينتهكون عرضهم ، ويتطاولون على حرماتهم ، ويكسرون عظام شبابهم ، وقد يذبحون أطفالهم ، وكل ذلك تحت عنوان إقامة الأمن ، وزرع السلام ، وبث الهدوء •

— وأدهى من ذلك أن رجال السلطة والأمن قد يكونون على علم مسبق بتأزم الجو وتهيئو الفرصة للاضطراب — موضوع العوامل المؤدية إلى الصدام ، ومع ذلك فإنهم يقصرون فى أداء واجبهم نحو اتخاذ إجراءات وقائية كما ثبت تقصيرهم — دائما — فى اتخاذ إجراءات رادعة ضد المعتدين والمجرمين إذا كانوا من طائفة الأغلبية •

وفى التحقيقات عن اضطراب طائفى وقع فى مكان ما تبذل الشرطة محاولاتها لوضع شهادات ووثائق لإثبات أن الأقلية هى المعتدية والبادئة فى إشعال فتيلة الاضطراب •

— ولقد بدأ الهندوس يجعلون منذ أعوام ساحة الصدام بينهم وبين المسلمين ، فى الأمكنة التى يكون المسلمون فيها قد تقدموا تجاريا وصناعيا بكدهم وعرقهم رغم العوائق التى تزرع فى طريق نهضتهم اقتصاديا وتجاريا ، حتى يمكن إلحاق الضرر بهم فى كل من الأنفس والأموال لكى يتخلفوا عن ركب النهضة والازدهار، ويعيشوا تحت كابوس البؤس والفقر •

والجدير بالذكر أن إخواننا المواطنين لا يهمهم أحكام دينهم ومتطلبات عقيدتهم ، بمثل ما يهمهم العداء والكراهية للمسلمين ، والدارس لوضع الهندوس الدينى يلاحظ أنهم قد يضيقون نطاق الأحكام الدينية ويوسعونه حسب ما يقتضى منهم العداء للمسلمين ، كما يلاحظ أنهم ينشطون للعبادة فى مكان محدد وقع الخلاف فى

شأنه بينهم وبين الأقلية ، فمثلا إذا كان فى مكـان شجرة « بيبل »
PIPALE التى يقدسونها ووقع الخلاف حول حقهم فى هذا
المكان أو حق للمسلمين فيه فإنهم يكتفون الإقبال على العبادة عند
تلك الشجرة بوضع صنم من حجر تحتها ، ويؤلبون بنى عقيدتهم ضد
المسلمين ، وقد يدعون للعبادة تحتها أناسا بعيدين عن ذلك المكـان
بأميال ، ولا يذكونها دون أن يبنوا معبدا ويسيطروا على المكـان
بالقوة وبمساندة رجال الأمن والشرطة ويتم ذلك تحت بند النظـام
والقانون .

— ومن المؤسف جدا أن عـوامل الاضطراب معلومة لـدى
الحكومة ولكنها لا تحرك فى جدية وإخلاص لدراسـتها ، واتخـاذ
إجراءات صارمة تمنع من وقوعها أو تقلل منها . حربا أهليه ستقع
ولن يستطيع أحد أن يسيطر عليها حتى ولو يعاون الجيش والشرطة.

وليتأكد إخواننا الهندوس أن المسلمين لن يغادروا وطنهم وأنهم
مواطنون أصليون مثلهم ولا يقل جهادهم وبلاؤهم فى سبيل الوطن
وتحريره ، ثم بنائه وتنميته وإثرائه ، عن اجتهادهم ونشاههم ، ولذا
فلا بد أن يغيروا إطار التفكير الذى اتخذوه وليوسعوا الأفق فى شأن
إخوانهم المسلمين ولتكن صدورهم رحبه ، وإذا لم يغيروا أسلوب
تفكيرهم فإن طبيعة الليالى والأيام سترغمهم على ذلك ، لأن الأيام
دول وهم بهذا الموقف السلبى الذى اتخذوه نحو المسلمين سوف
لا ينفعون الوطـن بشىء ، وإنما يضيعون الطاقات والكفـاءات ،
وتكون النتائج مزيدا من الخسائر ، الأمر الذى يكون سببا فى تخلف
البلاد ، وسوء سمعتها .

وذاك شىء يدركه العقلاء وأولوالجدية والروية من الإخـوان
الهندوس ، ولكنهم قليلون بالنسـبة إلى المتطرفين العاطفيين الذين
يدعون أنهم وطنيون حقا ، وهم فى الواقع أعداء الوطن ...

ما وراء الاضطرابات الطائفية فى الهند (١)

المسلم الهندى يعيش تجربة غير التى يعيشـــها المسلمون فى البلاد التى يشكل المسلمون فيها أقلية إنها من تجارب محاولة الإبادة والتشريد ، أو الغزو الفكرى والعقيدى والثقافى والحضارى .

إنه يعيش سلسلة لامتناهية من الاضطرابات الطائفية والتصادم العنيف الذى تفرضه عليه الأغلبية الهندوكية الوثنية ضد المسلمين فى أرجاء الهند ، والذى يسبب خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات ، وجل الذاهبين ضحيتها هم أفراد الشعب المسلم ، وقد كثر اندلاعها منذ نحو عامين ، منذ أن أخذت الصحوة تجد سبيلها إلى الطبقـــة المنبوذة من الهندوس ، التى تذوق الويلات منـــذ قرون ذاهبـــة فى أعماق التاريخ ، المجهولة على يد الطبقة الهندكيـــة العليـــا ذات السيادة الدينية عند الهندوس .. والتى بفضل الثقافة ، التى فتحت آفاق عقولها وتفكيرها ومكنتها من التعرف على الدين الإسلامى ، بدأت تفكر ــ أخيرا ــ أن تدخل فى حظيرة الإســـلام تخلصـــا من مخالب الذلة والهوان ، والتفاوت الطبقى الظالم ، والاحتوائية التى لا زالت تعيشها تحت ظل الطبقة المتحكمة فى الشئون الدينية .

لقد لجـــأ عدد كبير من المنبوذين فى قرية « ميناكشى بورم » وفى مناطق شتى إلى ظل الإسلام الوارف ، الذى لا يفرق بين غنى وفقير ، وســـيد ومســـود ، ولا يوزع بنى البشر إلى طبقـــــات ، فالنـــاس عنـــده ســــواســـــية كأســـنان المشـــط ، لا فضـــــل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقـــوى والعمـــل الصالح ، ومن سقط به عمله فلا يرفعه نسبه .. الإســـلام الذى يحتضن كل حائر تائه فى دياجير الحياة ، وكل حريب سليب بيـــد

---

(١) نشر فى العدد : ٧/ السنة ٦ ــ يوم ٢٥/ يناير ١٩٨٣ م .

الظلم والطغيان ، وكل مسحوق بقوى الشر والعدوان ، وكل مخنوق بيد المجتمع المائج بحركات ومنظمات ، وجماعات وأفراد وعقائد وأفكار تمد يدها الخبيثة إلى الإنسانية الآمنة المطمئنة فتسلب راحتها ، وتنغص عيشها ، وما أكثر عددها وأطغى شرها !

وهذا أقام الهندوس — ولا سيما العناصر المتعصبة منهم — ولم يقعدهم بعد ، فبدأوا يحسبون لذلك ألف حساب ، وذهبت بهم الظنون مذاهب ، وباتوا يفكرون ويحسبون : إذا ظل إخوانهم ، أهل ديانتهم يسلمون على غرار المنبوذين ، فلسوف يأتى يوم يتحول فيه المسلمون أكثرية يتحكمون فى شئون البلاد ، ويعودون هم قطعانا من الغنم تساق بالعصى ، ويعودون مسودين بعد أن مكنهم جلاء الاستعمار من الهند من بعض الممارسات التى هى من شأن السادة !

لهذا سلكوا شتى الطرق ، لوضع الحظر على حركة تغيير الدين التى نشطت — وستظل نشيطة بإذن الله — وأقاموا ضجة كبيرة ، بهدف استقطاب اهتمام الحكومة إلى هذا الجانب ، ومن المعلوم أن العناصر المتعصبة من الهندوس تسيطر على جل أجهزة الحكومة ومناصبها الحساسة ، ولقد قالوا إن العلمانية ستلفظ أنفاسها الأخيرة إذا ظل المنبوذون يدخلون فى الإسلام وعاد المسلمون أكثرية فى البلد ... وفى جانب آخر وحد الهندوس صفهم ، وأخذوا يفكرون فى القضية بحزم وجدية ، وعملوا على مكافحة التفاوت الطبقى فى المجتمع الهندوسى ، وجمعوا لذلك تبرعات ، بلايين من الروبيات ، وآثاروا فى الصف الهندكى روح العصبية الدينية المنتنة ، لأن ذلك كان أنجح الأساليب فى توحيد صفوفهم ، ولكسب تعاطف الحكومة ، ومن أجل الضرب على الوتر الحساس الهندوسى ، قالوا : إن البترودولارات العربية وعائدات النفط العربى هى العامل الأساسى الوحيد من وراء دخول المنبوذين وغيرهم من الهندوس فى الإسلام ، وأن الدول العربية والإسلامية تعمل على تحويل المسلمين أغلبية فى الهند .

ومن هذا المنطلق كثفوا وصعدوا حركات التصادم مع المسلمين لكى يصيبوهم فى الأنفس والممتلكات ، حتى يقضوا على نسـبتهم المرتفعة بالمهتدين إلى الإسلام من الهندوس ، كما طالبوا الحكومة باتخاذ دستور يمنع من تغيير الدين وأن تضع الحكومة فى الاعتبار البترودولارات العربية التى تسرب إلى الهند لاشتراء المنبوذين ! .

وبدأت التصادمات الطائفية تقع أخيرا تحت مخطط مدروس فى المدن التى تعيش فيها الأقلية الإسلامية ــ بفضل التجارة أو الصناعة ــ حالة الرخاء ، بهدف تحويلهم عالة يتكففون الأكثرية .

هذا ، وقد تكون الاضطرابات الطائفية نتيجة سوء التفكير من الدبلوماسيين من الأحزاب المعارضة التى تحاول إثارة الاضطرابات ضد الحزب الحاكم ، فيشعل نار الاضطرابات الطائفية ، كما قــد يقصر الحزب الحاكم بدوره فى التحرك المثمر لكى يوقف التصادمات الطائفية ، حتى تظل الأقليات المتضررة محتاجة إليه ، وترى مصيرها بيده باعتباره المنقذ لها مما تعانيه .

كما قد تكون نتيجة تسرع أو سفه من المسلمين أولئك الذين يشتعلون كالكبريت بأدنى حكة ، ولا يقدرون المصير المشئوم الذى يلاقونه فى الأمكنة التى تشتد منها الاضطرابات الطائفية وتتضرر بسببها .

والعامل الأكبر فى الاضطرابات الطائفية هو العصـبية الدينية التى عمل على إثارتها وإيجاد عواملها الاسـتعمار البريطانى عند ما تأكد من أن نهاية بقائه فى الهنـد فقد ترتب على جلائه تقسيم الهند ، وقيام صراعات دامية عند استقلال الهند ، ــ لذلك عملت ــ على إشعالها الكتب التاريخية الدراسية وغير الدراسية التى ألفت فيها بعد الاستقلال ، والتى شوهت وجـه التاريخ الإسلامى فى الهند ، وسـودت صفحات الملوك المسلمين ، ووصمتهم بأنهم ظلموا الأكثرية الهندكية ، كما أوهمت أن المسلمين حكمـوا الهند سـبعة

قرون أو أكثر كالمستعمرين البريطانيين ، إذ جاء كلا الاستعماريين من خارج الهند ولذلك يجب أن يجلو المسلمون عـن الهند كما جلا الاستعمار البرطانى ، ولا مبرر لهم فى اقامتهم بالهند ، ولا سيما بعد ما نالوا حظهم فى صورة دولة باكستان التى شقوها من الهند !.

ولا تزال تصدر عن أقلام كثير من الكتـاب الهنادك كتابات ومؤلفات تنفث السموم ضد المسلمين فى الهنـد ، وضـد التاريخ الإسلامى على العموم ، بل وضد نبيهم الأعظم ﷺ ، وقد يبلغ الحقد الأسود ببعضهم أن يصفوا « أورنك عالمكير » — رحمه الله — بالعصبية والإجحاف وهضم الحقوق ، على حـين أنه كان أعدل إمبراطور مغولى ، وأعدل الملوك المسلمين الذين حكموا الهند على الإطلاق ، وتلك قضية لا تحتاج إلى بيان لأنها واضحة كالشمس فى رابعة النهار .

ومهما يكن من سبب فى الاضطرابات الطائفية ، فإنها باتت مأساة يعانيها الشعب الهندى ، وتسحق رحاها الأقليات ، وصارت تعيش حالة من القلق والخوف وعدم الاستقرار ، إنها لا تدرى متى تندلع نار التصادمات فى الأمكنـة التى تستوطنها فتذهب ضحيتها الأموال والأرواح .

والحظر على الاضطرابات الطائفية ممكن إذا كانت الحكومة جادة فى الاهتمام بهذا الجانب ، وأخذ القـادة والزعماء من كلتا الديانتين بالحزم ، وإيثار روح الإنسانية والمساواة والعطف التى لا تحاربها أى ديانة ، وإنما هى تراث مشترك للديانات ...

المجــزرة الوحشية (١)

إن المجزرة الوحشية التى تعرض لها – ولا يزال – الشعب المسلم فى ولاية « آسام » بالهنـــد ، ليست هى الوحيدة ، وإن الصدامات الدموية والاضطرابات الطائفية التى توقد نيرانها الجهنمية من حين لآخر لحصاد المسلمين بات شيئا عاديا يعيشه المسلم الهندى . كالماء والطعام والهواء .. فمنذ أن تحررت الهند والإنسان المسلم يذوق من الويلات ما لا يمكن تحمله إلا برصـــيد كاف من الإيمـــان العميق بالله الواحد القهار ، وبكونه المنتقم الجبار ، وبأن المســـلم مكانه فى الحياة مكان السراج المضيىء وسط دياجير الحياة .

إن الصدامات الدموية التى يرقص فيها الموت أكسبت المسلم الهندى – كما قلت من على منبر هذا العمود أكثر من مرة – إيمانا عجيبا بربه ، مكنه من تذوق الحلاوة التى توجدها المصائب والمحن إذا صبر عليها المؤمن بالإنابة إلى ربه الذى لا يخذله ، ما دام هو وفيا له .

إن المحن تصقل الإيمان وتجلو الصدأ ، الذى قد يتراكم على قلب الإنسان المسلم من طول طريق المعاناة المادية فى الحياة .. الله عز وجل ، خالق الإنسان والكون ، يعلم نفسية الإنسان ، يعلم أنه لن يسير على طريق واحد – ولو كان طريق العقيدة والإيمان – على نهج واحد أو سرعة واحدة .. فوضع المحن والشدائد لكى تشده دائما إلى النقطة المطلوبة للسير على طريق العقيـــدة والإيمان : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » .

إننا لا نملك إلا دموعا نهديها فى إخلاص إلى الأنفس البريئة

---

(١) نشر فى العدد : ١٣/ السنة ٦ – يوم ١٠/٥/١٩٨٣م .

التى قتلتها الأيدى الأثمة ، وزفرات وعبرات حارة نزف بها إلى الجرحى والمشردين الذين يعانون أشد أنواع الويلات على أيدى المتهورين المتطرفين ..

إن الاحتجاجات والتظاهرات ، ورفع الأصوات ، لم تجـد ولن تجدى شيئا للشعب المسلم ولن تنقذه من مخالب غول الاضطرابات الطائفية الأسود .. إن السلطات المحلية أو المركزية لن تنفع شيئا ؛ وإن الجماعات والأحزاب والمنظمات التى تنفق هنا وهناك لم تغير ولن تغير من طبيعة الوضع القلق القاسى الذى يعيشه الشعب المسلم فى كل قرية ومدينة ، وفى كل ناحية فى البلد .

إنه لن ينجو من عفريت الاضطرابات الطائفيـــة التى يتعاطاها كخبز الغداء والعشاء إلا بتوحيد الصف وبتوثيق الصلة بينه وبين ربه .. ثم بإيجاد الوعى الإنسانى فى الأخوة بين المواطنين الذين يوجد فيهم عدد لا بأس به ينظر إلى قضية المسلمين بمنظار إنسانى ؛ ويرى أن للمسلمين حق العيش فى البلد ، وأنهم عريقون فى المواطنة ، وأن لهم ما له ، وأن عليهم ما عليه .. إنه بات لا يملك من أمره إلا أن يصيح صيحة الأطفال ، ويبكى بكاء الرضيع ، ولكن هل هناك من يستجيب لهذه الصيحة ، ويسترعى انتباهه هذا البكاء ؟ .

إنه ليست ولاية « آسام » — وحدها — ، وإن كانت طبيعية الصدام هناك تختلف عن طبيعة الصدام فى أمكنة أخرى ، ولكن هدف كل تلك الاضطرابات هو حصاد الإنسان المســلم ، ومحاولة إبادته الجماعية ، ففى مدن « ميرته » و « وعليجراه » و « مراد آباد » و « جمشيد بور » وقع من الحصاد الأبشع للنفس البشرية المسلمة ما لا يوصف .

فإلى الله المشتكى وإليه الملجأ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أصيلة .. وليست دخيلة (١)

إن كل إنسان — حتى الصبيان — يعرف أن اللغة الأردية أصيلة فى هذه البلاد وليست دخيلة طارئة ، كما يزعم من يجهل أو يتجاهل تاريخ البلاد ، وتاريخ تطورها الحضارى والثقافى ..

إنها على هذه الأرض ثبتت ، وفيها نشأت ، وفى حضنها ترعرعت ، ومن تربة مجتمعها استمدت غذاءها ، فبسقت وتفرعت : والدارسون لتاريخها يؤكدون أنها صورة متطورة من اللغة الهندوكية ، وأن تاريخ نشوئها يرجع إلى أكثر من ثمانية قرون .. وأنها صارت إلى ما هى عليه الآن بما انصب فى قنائها من كل اللغات الفارسية والعربية والتركية والانجليزية والفرنسية ، وكثير من اللغات المحلية وغير المحلية .

إنها كغيرها من اللغات المندرسة والموجودة فى العالم البشرى ، نشأت باعبارها ضرورة إجتماعية ملحة .. دخل المسلمون هذه الأرض تجارا أو فاتحين ، وكان معظمهم فيما بعد عهد الفتح العربى — الذى كان رائده وقائده الشاب اليافع « محمد بن القاسم الثقفى » المتوفى ٧١٢م — لغتهم الأم هى الفارسية ، فبقيت هى لغة الدواوين ولغة البلاط ولغة قصور الأمراء ، إلا أن لغة أهل البلاد كانت اللغة الهندوكية ، فاضطروا تحت ضغط من حاجاتهم التجارية والإدارية والتعامل مع الشعب أن يستخدموا ألفاظها ، وبمرور الأيام انقطعت صلتهم تدريجيا عن أوطانهم التى نزحوا منها للهند ، وأقاموا مع أهل هذا البلد صلة المصاهرة ، وأهل البلد بدورهم احتاجوا إلى الاتصال بهم عن طريق الوظائف فى المكاتب الحكومية والاختلاف إلى البلاط الملكى ، والعمل فى الجندية ، وبمقتضى صلة المصاهرة والقربى ، فتعلم كثير منهم اللغة الفارسية أو كثيرا من ألفاظها المتداولة فى

---

(١) نشر فى العدد : ١٩ / السنة ٨ — يوم ١٠/٨/١٩٨٥م .

ضرورات الحياة اليومية ، غير أن لغتهم الأم كانت اللغة الهندوكية •• وهذا التمازج اللغوى فيما بين هؤلاء وهؤلاء خلق لغة جديدة هى اللغة الأردية •

وبذلك كانت اللغة الأردية من المعطيات الحضارية الكثيرة التى لا تحصى ، والتى أتحف بها المسلمون هذه البلاد التى جعلوها داراً وقرارا ، يقول الدكتور « تارانتشند » (TARA CHAND) الكاتب والمؤرخ الهندوسى ذو الاطلاع الواســـع فى كتابه « تأثير الإسلام فى الهند » (INFLUENCE OF ISLAM IN INDIA) معطيات الإسلام لهذه البلاد ••

« ••• والأهم من ذلك أنه نشأ مزيج لغوى ، حيث إن المسلمين أقلعوا عن لغتهم الفارسية والتركية ، واختاروا لغة الهنادك ، إلا أنهم غيروا فيها ، وتناولوها بالتعديل والإصلاح بدواعى الظروف والأحوال على غرار ما صنعوه فى فن الهندسة والرسم والتصوير ، وعلى ذلك فإنهم أنشأوا لغة جديدة ، هى اللغة الأردية ، ثم جعلها الهندوس والمسلمون لغهم على السواء » •

وبقيت الأردية تنمو وتزدهر بجانب الفارسية ، التى كانت لغة الملوك والأمراء ، والحكام ، لأنها بطبيعتها المعجونة باللغتين الفارسية والهندوسية كانت وحدها هى التى تقدر على إيجاد التقارب والالتقاء بين الطائفين ، طائفة المواطنين وطائفة الملوك والحكام المسلمين الذين كانوا يختلفون عن المواطنين ديانة وحضارة وثقافة •

ولذلك •• فعندما أدرك المربون والمصلحون فى هذه البلاد منذ قرون طويلة ، أن هذه البلاد التى يسكنها الهندوس والمسلمون لا يمكن أن يستقيم أمرها ، وتقطع أشواطها نحو النمو والازدهار فى جو من الهدوء والوئام إلا إذا تم القضـــاء على روح التنافر والعصبية ، والتركيز على إثارة روح التسامح والمرونة ، والرقة والمواساة ، والحب والتراحم ، وصفاء القلب والفكر ، والتفكير فى حاجات الآخرين قبل

المصالح الشخصية والمنافع الفردية ، وبالتالى لابد من إيجاد الانسجام بين الحضارتين والتزاوج بينهما .. ولذلك استخدموا هذه اللغة المزيجة من اللغتين ، واتخذوها لغـة القلب والحب ، ولغة الأخوة والوفاء ، ولغة التناغم والانسجام ، ولغة التألم والمواساة ، ولغة يضربون بها على أوتار القلوب ، ويخطبـون بها الود ، ويؤلفون بها بين الأفئدة ، ويلحنون فيها قصائد الحب ، ويقربون عن طريقها بين الأفكار والوجهات ، وكان على رأسهم أمير خسرو ، والشيخ على قلندر الفانى فتى (م١٣٢٣م) ، والشيخ شرف الدين يحيى المنيرى البيهارى (م١٣٧٠م) ، والشيخ محمد حسين غيسو دراز (م١٤٢٢م) ، والشـيخ الشـاه ميران جى البيجـافورى الملقب بشمس العشاق (م١٤٩٦م) ، والسيد محمد الجونفورى (م١٥٠٤م) ، والمصلح كبير داس البنارس (م١٥١٨م) ، والمصـلح غرو نانك مؤسس ديانة السيخ (م١٥٣٨م) ، والشيخ عبد القدوس الكنكوهى (م١٥٣٨م) .

ولكون هذه اللغة موضع إقبال الشعب الهندى وضع الاستعمار الإنجليزى جهده فى نشرها وتعليمها لأبنائه وأبناء هـذه البلاد ، ووضع لذلك كتبا دراسية ومنهاجا تعليميا ، وأنشأ كليات ، وركز عنايته على تطوير النثر الأردى الذى رآه يعين على نشر آرائه وأفكاره بصفة خاصة .

وإن القارىء من خلال هذا الاسـتعراض السريع يرى أن اللغة الأردية كانت لحمتها وسداها اللغة الهندكية واللغة الفارسية منذ اليوم الأول ، ولما صرف العلماء والمؤرخون والمثقفون المسلمون عنايتهم نحو هذه اللغة التى وجدوها — فيما بين اللغـات الوطنية الأخرى — أحلى اللغات وأسهلها تناولا وأخفها على اللسان ، وأروعها فى التعبير والبيان ، وأعذبها جرسا ، وأجملها تركيبا ، وأسحرها نغمة ، وأوفاها أداء للغرض ، وأوسعها نطـاقا ، وأكـثرها مرونة وتجاوبا مع كل عصر وحاجاته ، وكل مجتمع ومتطلباته ، نقول عندما

صرف العلماء المسلون عنايتهم نحو هذه اللغة دخلها كثير من الكلمات العربية مستقلة بالإضافة إلى الكلمات العربية التى كانت مستخدمة فى الفارسية ، ومن ثم صارت الهندكية ، وبعد غزو الاستعمار الإنجليزى للبلد دخلتها الكلمات الإنجليزية ، ومع الثورة الصناعية فى العالم وتقدم الإنسان فى العلم والتكنولوجية والاختراعات والاكتشافات ، وكثرة اختلاط الأقوام والأمم واتصال البلاد والدول بعضها ببعض ، كثر التفاعل والتبادل فيما بين اللغات ، كما كثر ذلك فيما بين الحضارات والثقافات ، فدخل الأردية كثير من كلمات اللغات العالمية واللغات المحلية •

ونظرا لما كانت تمتاز به الأردية من حلاوة وعذوبة النغم والجرس ، وكثرة المرونة ، أقبل عليها الشعب الهندى على اختلاف الديانات ونبغ فيها فى جميع العصور أدباء وكتاب وخطباء وشعراء مسلمون وهندوس ، وجميعهم خدموها بشتى الصور •

وإذا كانت الحاجات الاجتماعية هى التى توجد اللغات واللهجات فإنها تبقى حية ما دامت تفى بتلك الحاجات ، وتمشى مع المثل والقيم الاجتماعية • وأكثر اللغات وفاء بهذا الغرض وتعبيرا عن الحقائق الاجتماعية أحياها وأبقاها ، وإذا فقدت لغة ما صلاحية التعبير عن الضرورات الاجتماعية والتمشى مع ركب القيم والحقائق الاجتماعية ، فلابد أن يطوى بساطها ••

إن ازدهار اللغة الأردية بهذا الشكل المدهش وكونها لغة الثقافات والعلوم والآداب ، فى هذه المدة القليلة — إذا قسناها بلغات عالمية أخرى ذات حضارة وثقافة وأصالة ، وأدب وعلم — وانتشارها فى العالم بهذه السرعة الهائلة تملك من صلاحية الوفاء بالحاجات الاجتماعية والثقافية والحضارية ، ما لا تملكه لغات كثيرة تملك من وسائل النشر والتعميم والترقية ما لا تملك هى عشر معشاره •

ورغم أن أبناء الإسلام فى هذه الدنيا — بعد ما طوى بساط الحكم الإسلامى وطوى معه بساط اللغة الفارسية — اتخذوها لغة العلم والثقافة بصفة خاصة فإنها بقيت حقا مشاعا لجميع أبناء البلاد ، وبقيت لغة التخاطب والتفاهم الوحيدة فى معظم ربوع شبه القارة الهندية وظلت — دائما — هى اللغة الوحيدة التى تنطق وتفهم كثيرا أو قليلا فى جميع أجزاء الهند ، ظل أبناء البلاد مع اختلاف الديانات يجتهدون فيها وفى تعليمها واختيارها لغة العلم والثقافة .

وبعد ، ففى أوائل هذا القرن — وحتى قبل الخمسينات منه — لم يكن هناك تعصب للهندوكية ضد الأردية بصورة تذكر ، على الرغم من أن إقبال المسلمين عليها كلغة علم وثقافة وتفاهم كان أكثر من إقبال الهندوس عليها ، غير أن شعور الكراهية التى زرعها الاستعمار فى قلوب المواطنين وما أعقب الاستقلال من الظروف والملابسات ، وما واكب توزيع الهند بين دولتين من صراعات وتعقيدات ، جعل الإخوان المواطنين الهندوس يمقتون كل ما يتصل بإخوانهم المسلمين ، وكل ما يتبنونه من ثقافة وحضارة ودين ولغة ، ولو كانت هى اللغة المشتركة بينهم وبين المسلمين كاللغة الأردية .

وشعور الكراهية يتفاقم مع الأيام ، ولا يرجى فى الظروف الراهنة أن تخف حدة الصراع القائم بين الشعورين ، إلا أن تحدث معجزة من الله العزيز الحكيم ، الذى يقلب الليل والنهار ، ويزيد الأمر خطورة سوء تصرف الحكام ، وخبث سلوك الساسة والدبلوماسيين والأحزاب السياسية ، بالإضافة إلى شر الأحزاب والمنمظات الطائفية المتطرفة المشاغبة التى تواصل إشعال فتيلة العصبية الدينية والثقافية .

والآن .. تكاد تمضى على الاستقلال أربعة عقود ، ولم يستطع الزعماء وقادة سفينة البلاد أن يضعوا حدا للصراع القائم فيما بين الثقافات واللغات ، وإنما الطين يزداد بلة ، وفى كثير من الأحيان يكونون هم السبب المباشر فى ازدياد هذه البلة .

لقد علم القراء مما أسلفت أن اللغـــة الأردية كانت ولا تزال أكثر اللغات المتداولة فى الهند استعمالا ونطقا وفهما فى جميع أجزاء الهند ، وبعض الولايات يختص بتداولها وحدها ، كولاية اترابراديش وبيهار ، وما يجاورهما من المناطق ، وقد كانت هذه المناطق منبتها ومهدها ، كما يرجحه — بل يؤكده — الباحثون ، وكانت شريعة المنطق والعقل ، وشريعة الحكومة ، وشريعة الظروف تقتضى أن تعترف بها الحكومة الهندية كلغة رسمية ثانوية ، تلى الهندوكية على الصعيد الرسمى ، حتى يتاح للناطقين بها — وهم قطاع عريض من السكان فى مشارق الأرض ومغاربها عامة وفى هذه المناطق المشار إليها ومعظم المناطق الجنوبية خاصة — أن يستخدموها فى مجال الثقافة والعلم والمنطق ، والخطاب فى ضرورات الحياة العامة التى يحتاجون فيها الى معاونة الحكومة ، فلا يضطرون — رغما منهم — إلى استخدام الهندوكية أو الإنجليزية فى الاتصال بالمكـــاتب الحكومية وإداراتها ومصالحها وأجهزتها وسلطاتها .

أليس من المضحك المبكى — وما أكثر المضحكات المبكيات فى دنيانا ، وشر البلايا ما يضحك — أن لا تعترف الحكومة الهندية أن الحكومات الإقليمية ، مع أن هذه اللغة هى أحلى اللغات — كما يعترف بذلك عن تذوق أدباؤها المسلمون والهندوس على السواء — وأسهلها وأخفها على الإطلاق ، وتستخدم الحكومة هى ورجالها كل نوع من المماطلة والتســويف واللف والدوران ، وتواصل إعطـــاء الوعود وإخلافها ، رغم جهاد رجال الأردية هذه المدة الطويلة فى سبيلها ، ورغم مطالبتهم المتصلة بذلك ، ولا تبالى الحكومة فى هذا الصدد بمشاعر هذا القطاع العريض من الناطقين بها ، بل ويحلو لها أن تظل عاضة بنواجذها على لغة الاستعمار الذى ولى ، وأن تفرضها على الشعب ، وترغمه على تعلمها شاء أو لم يشأ ، وأن تجبر على استخدامها فى مكاتبها ودواوينها ومصالحها ، وفى مجـــالات الحياة الكثـــيرة .

أليست من العجيب الأعجب أن يقبل عليها الناس فى العالم

مأخونين بعذوبتها وسهولتها وخفتها ، ويتبنونها باعتبارها لغة راقية زاخرة بالحياة وتتنكر لها أرضها الأم ، ومهدها الأصيل ، ومسقط رأسا الحقيقى ، وتضعها فى قفص الاتهام بأنها لغـــة مستوردة ، وأنها تثير الطائفية ، وأنها لغة طائفية وحدها ، وأن الناطقين بهـــا يستحقون الإعدام شنقا ، وأن الاعتراف بها لغة ثانوية يؤدى إلى الاضطراب الطائفى والصراع الطبقى وأنها لا يمكن فرضـــها على شعب البـــلاد .

إنها تهم توجه إلى الأردية منذ استقلال الهند ، وأعذار ومبررات يخلقها رجال السياسة ، وزعماء الهندوس المتعصبون — ومعهـــم أبواق مأجورة من المنتمين إلى أبناء الإسلام — ولو راجعوا أنفسهم لعلموا أنها اللغة الوحيدة التى يمكن أن تعم الهند ، وأن يكلف الشعب باستخدامها نطقا وكتابة وخطابة ، واستمعالها فى المصالح الحكومية ، لأنها مزيج من جميع اللغات المحلية والعالمية ، وعلى رأسها الهندوكية والفارسية والعـــربية والإنجليزية ، ففيها عزاء لجميـــع الطوائف وسلوى لكل القطاعات ، وأسباب رغبة لجميع الناس ، ويمكن أن نقول وبملأ الأفواه ، وفى تحد كامل ، إنه ليس هناك فى الهند لغة تستخدم لايجاد التقـــارب والالتقاء بين هـــذه الكتل المتنـــاحرة ، والقطاعات المتصارعة ، والطوائف المتخاصمة التى فرقتها الأهواء والمصالح والثقافات والديانات والميول والاتجاهات ، إلا هذه اللغة التى استخدمها فعلا لهذا الغرض المربون والمصلحون والنساك فى الماضى .. وقد وجدت لتكون نقطة التقـــاء بين الناطقين بمختلف اللغـــات .

ولكننا لا نرى هذا يتحقق بسهولة ، فقد حدث فى ولاية بيهار لأن كبير وزراء شريف إعترف بها رسميا لغة ثانوية لبعض مناطق الولاية ، ولكنه صار موضع سخط شديد من حزبه ومن الحكومة ، ومن زملائه الهندوس فى المجلس الإقليمى ، وكان الرجل قد وضع ترتيبات لوضع قرار الاعتراف بالأردية موضع التنفيذ فى العمل فى

المكاتب والمصالح الحكومية ، فتعرضت للإهمال والنسيان عمداً ممن خلفه فى منصبه ، ومن رجال السلطة المسئولين فى الولاية وجلهم هندوس •

أما فى ولاية « اترابراديش » وفى مناطق دهلى — وهى مولد الأردية ومهدها — فقد صرخ رجال الأردية حتى تعبوا ، وكتبوا ، وأرسلوا وطالبوا ، وبذلوا كل المساعى المستطاعة ، وطرقوا كل باب يدخل فيه وجربوا كل حيلة تنفع ، حتى ملوا ، ولكن الحكومة ورجالها لم ينتبه منهم نائم ، ولم يتحرك منهم ساكن ، لأن اليقظان الذى تناوم لا يوقظ • وزعماء الهندوس المتعصبون — ومنهم من ينتمى إلى الحكومة — يثيرون فيما بين الهندوس السخط والكراهية ضد الأردية ، ويوقظون عصبيتهم ضد الناطقين بها بكل حيلة ممكنة •

وإن ما أبداه أحد وزراء المجلس الإقليمى لولاية اترابراديش — وهو واسديف سينغ — فى الأيام الأخيرة من آراء مسمومة وأفكار مسعورة ضد الأردية ورجالها إنما يعكس عزم الحزب الذى ينتمى إليه وعزم رجال الحكومة ، وعزم أغلبية الهندوس المتطرفين ، وليس هو رأيه وفكره وحده ، وقد صدرت فى الاحتجاج ضد ما قاله السيد الوزير ، مئات المقالات ، وآلاف من الرسائل المنشورة فى الصحف والمجلات وعقدت مئات من المؤتمرات الاحتجاج ، وندوات الاستنكار ، وكلها تتلخص فى أن تستوجب الحكومة هذا الوزير الذى جاء مقاله ضد الدستور الهندى ، ويستوجب الحرب الذى ينتمى إليه ، لأنه خالف ميثاقه فى آرائه ، وجرح مشاعر ملايين الشعب وأهان أحاسيس آلاف من الأدباء والكتاب •• ولكن بدل أن توجه إليه الحكومة أو الحزب أى تأنيب ، نهض كبير وزراء الولاية ليعلل ما قاله السيد الوزير ، ويؤوله على غير ما يصر هو لعيه من آرائه وفكره ، وكان بعض العاملين فى حقل الأردية من على منابر أكاديميات الأردية الرسمية — وهى الأخرى قد أقيمت لتعليل رجال الأردية تعليل الكبار للصغار — قد استقالوا احتجاجا على مقال السيد الوزير

فأرضاهم معالى كبير الوزراء بإعطاء الوعود المعسولة مرة أخرى فى شأن اتخاذ إجراءات إنهاض وتعميم الأردية .

ورغم هذا العداء الصارخ للأردية ، ومحاربتها على شتى الجبهات ، ومحاولات اقصائها عن مجالات الحياة ، ظلت تقطع أشواطها الحثيثة نحو التقدم والازدهار ، والانتشار بصورة منقطعة النظير .. ومع الأيام تتوسع رقعة الناطقين بها ، ونطاق المستخدمين لغة ثقافية وللعم وأدب ، وفرضت وجودها على العالم الإنسانى .. وستبقى حية متقدمة منتشرة أكثر من ذى قبل رغم كره الكارهين .. لأنها تفيض بالحياة ، ولأنها تتمتع بصلاحية المسـايرة لمتطلبات الحياة ، ولأنها تستطيع أن تكون وعاء الثقافات والأفكار والعلوم والآداب .

يتحدون رغم جميع الأسباب المفرقة ! (١)

لقد زرت « كلكتا » عاصمة بنغال الغربية وعددا من مدنها وقراها فى شهر ذى الحجة ١٤٠٦هـ ، فرأيت من آلهتهم غير ما أراه فى منطقة ولاية « اترابراديش » — الولاية الشمالية — وغير ما رأيته فى منطقة ولاية « بيهار » منذ نعومة أظفارى ، ومنذ أن تفتحت عيناى لتريا الكون والحياة وما بث الله فيهما من دابة ، وما أودع فيها من نباتات وجمادات ، وأشجار وأحجار ، وزروع وثمار ، وأراض وأنهار ، واختلاف الليل والنهار ، ومن قبل ذلك زرت المنطقة الجنوبية فى الهند فرأيت أنهم يعبدون من الآلهة المهيبة تماثيلها ما لا يعبده جيراننا فى الجزء الشمالى ..

وعلى كل فقد رأيت الآلهة تختلف باختلاف المنطقة ، ورأيت أن أهل كل منطقة يصنعون من الآلهة ما يرضى هوى العبادة عندهم .. فعجبت ، لأنهم يتحدون فى قضية دينية رغم اختلاف الآلهة ، واختلاف طريقة العبادة وأسلوب التقديس ، وأن أهالى منطقة الجنوب أو منطقة الشرق يلتقون مع أهالى منطقة الشمال أو منطقة الغرب على نقطة الاشتراك الدينى السلبى ، وهى أن الجميع يعبدون ما لم ينزل الله خالق الأرض والسماء المستحق وحده للعبادة ، وعجبت أيضا من أنهم يتحدون أفكارا وتصورات ، ومشاعر وأحاسيس ، وغيرة وحمية ، وقيما ومثلا — إذا كان فى قاموسهم هذه الكلمة — رغم الآلهة المتفرقة المتنوعة ؟ ! .

إن هناك اختلافا شديدا فيما بينهم — إلى جانب الاختلاف فى الآلهة المعبودة عندهم وطريقة أداء العبادة ، وفى إعطاء الأولوية أو القدر الكبير من العبادة لواحد من تلك الآلهة أو توزيع نصيب التقديس بينها — فى الحياة الاجتماعية وأطر المعيشة حيث إنهم يتوزعون طبقات يعلو بعضها فوق بعض القداسة ، وأداء أعمال

ووظائف حياتية وعبادية حددتها لهم آلهتهم •• فطبقة لها السيادة الدينية المطلقة والسلطة اللعيا فى التصرفات المتصلة بالدين والمعتقدات وطبقة تليها فى السمو الدينى والشرف الإنسانى ، وطبقة تتلوها فى التحكم فى بعض الشئون الدينية ، وطبقات منبوذة مطروحة فى سحيق الذل والهوان والتبعية الذليلة للطبقات ذات السيادة •• فلا يجوز أن تشرب من الإناء الذى شربت منه طبقة السادة ، أو تأكل فى الأوانى التى أكلت فيها ، أو تحرق جثث موتاها فى المكان الذى أحرقت فيه جثث موتى الطبقات العليا ، بل ولا يجوز لها فى أغلب الأحيايين أن تؤدى العبادة فى المعبد الذى تؤدى فيه العبادة تلك الطبقات العليا ••

غير أنهم رغم هذا الاختلاف الفاحش ، والتفرق الشديد ، والتوزع الكبير يتحدون فى لحظة واحدة فى قضية العداء للمسلمين ومحاربتهم على جميع الجبهات ، ويحتشدون فى يوم واحد وفى وقت واحد ليغتصبوا من مساجدهم التاريخية أو مصليات عيدهم الأثرية ما يشاءون ، ويكونون صوتا واحدا فى الزعم بأن « قطب مينار » والمسجد الجامع الكبير فى دهلى أو القلعة الحمراء والتاج محل فى آكرا ، أو مؤت من المساجد والمبانى التاريخية النادرة البناء والهندسة ، إنما هى من بناء قيل فلانى أو ملك فلانى من أقيالهم وملوكهم•• وأن كثيرا من مساجد المسلمين ومصلياتهم مبنية على مساقط رؤوس آلهتهم — والآلهة عندهم تولد من بطون أمهاتها !!! — أو على المواضع التى شالت فيها نعامتها وارتفعت نأمتها — والآلهة تموت عندهم !! — •• وكبر ما يبعث على العجب أن هذه الآلهة التى يزعمون أن المساجد كانت موالدهم أو مماتهم ليست آلهة مشتركة عند جميعهم ، فقد يقدس أبناء الجزء الشرقى آلهة لا يعبدها أبناء المنطقة الغربية أو قد يعبد أهالى منطقة الجنوب آلهة لا يأبه لها الشماليون ••

إنهم يتحدون رغم هذه الاختلافات الجذرية الكثيرة ،

ويتجاوزونها فى تحقيق مصالح مشتركة وأغراض مشاعة ، وفى ضرب الإسلام والمسلمين ، ومحاربة جميع ما يتصل بهم من حضـارة وثقافة وقيم ومثل وآداب وعادات ولهجات ولغات ، فنراها تتلاشى وكأنها لم تكن بينهم قط ..

يتحدون رغم الأسباب المفرقة ، ويتلاحمون رغم العوامل التى كانت كفيلة بأن تجعلهم يتشاجرون ويتعاركون فى كل قضية مـن قضايا الدين والحياة والاجتماع والأخلاق ..

وتقابل هذه الصورة صورة أخرى معاكسة لها تماما ، وهى صورة المسلمين فى جميع أنحاء العالم ، أولئك الذين يختلفون اختلافا لا حد له ولا عد ، رغم جميع الأسباب الموحدة ، ويتوزعون فى كتلات لا يعلمها إلا الله رغم جميع دواعى التضامن والاتحاد المنبثقة من دينهم وعقيدتهم وشريعتهم وعبادتهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم ..

إنهم يتبعون الدين الذى اعتبر جميـع المنضين تحت رايته إخوانا متحابين متعاونين متراصـين ، ودعاهم كتاب الله الأخـير الذى يؤمنون به إلى أن يذكروا دائما نعمة الله عليهم ، حيث جمعهم فى صف واحد وكونهم إخوة متحابين بفضل إيمانهم بالدين الذى ارتضاه لهم ، وقد كانو من قبل أعداء متحاربين ، وفرقاء متخاصمين فقال : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمتـه إخوانا ، وكنتم على شـفا حفرة من النـار فأنقذكم منها » .

إى والله ، إن الإسلام الصحيح ، القوى الفعال ، هو الذى يؤلف بين القلوب ويوحد بين الأفكار ، ويجمع بين العواطف والمشاعر ، والناس بدونه مهما بدوا متحدين فهـم مختلفون ، ومهما ظهـروا متعاونين فهم متحاربون ، ومهما ظنهم المخدوعون متضامنين فهم متخاصمون ، لأن الأغراض هى التى جمعتهم ، فاذا ذهب أو انها أو تهدم بنيانهم فهم بعضهم لبعض عدو .

ولقد قال نبيهم صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يشتمه .. ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا . ومثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » أو كما قال — ﷺ — .. والحديث فى هذا المعنى كثير .

ثم إن دينهم يعتبرهم سواسية كأسنان المشط ، ويعتبر جميع الناس سواء ، لا يفضل عربى على عجمى أو أبيض على أسود ، أو شرقى على مغربى إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ومن قصر به عمله لا يتقدم به حسبه أو نسبه .

إن الههم واحد ، وطريقة عبادتهم واحدة ، ونبيهم الخاتم واحد ، وكتابهم الذى فيه دستور دينهم ومنهج عقيدتهم واحد ، وقبلتم واحدة ، وجميع مساجدهم ومصليات عيدهم تتجه جهة واحدة ، والاتحاد مركوز فى كثير من عباداتهم الأساسية ، فصلاة الجماعة تفوق صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة أو أكثر ، ودينهم أمرهم أن يتجمعوا فى الصلاة المفروضة ، وصلاة العيدين ، والصلاة على الجنازة ، وأن تؤدى أركان الصلاة وأعمالها فى وقت واحد ، فلا يجوز لأحد يصلى خلف الإمام أن يركع قبل ركوعه أو يسجد قبل سجوده أو يكبر قبل تكبيره ، أو ينتقل من ركن إلى آخر قبل انتقاله ، كما لا يجوز أن يختلف المصلون فى الصف بعضهم عن بعض فى أداء الأركان ، وإنما يجب أن يؤدوها فى وقت واحد معا ..

وقد حدد دينهم فى كثير من العبادات الأوقات التى لا يجوز لهم أن يسبقوها أو يتأخروا عنها ، فللصلوات الخمس المفروضة أوقاتها ، وللحج وقته ، وللصوم شهره المحدد ، ويجب على جميع المسلمين المكلفين أن يؤدوا هذه العبادات فى تلك الأوقات .

إذا .. فما بالهم يختلفون اليوم اختلافات غير قابلة للحصر ؟ ما بالهم لا يوحدهم غرض دينى ولا ملطب عقيدي ، ولا هدف إسلامى

ولا مصلحة مشتركة ؟ •• إنهم لا يتحدون فى أحرج الأوقات وأدق الساعات ، ولا تجتمع كلمتهم فى أهم القضايا والمشكلات •• لايتحدون حتى فى نوعية مقاومة العدو الصهيونى ، ومواجهة الغزو الشيوعى ، وإيقاف الحرب الخاسرة بين العراق وإيران ، وتصفية الحساب مع جنود الكفر والإلحاد والشيطان ، ويكونون بهذا الاختلاف لقمة سائغة للقوى المحاربة لهم ولدينهم ، ويرضون أن يكونوا كرة متقاذفة فى « لعبة الأمم » •• ونرى الاختلاف بينهم فى المؤتمرات والندوات ، وحتى فى البلاد التى هم فيها أقلية لا يوحدهم « تأديب » أكثرية ، أو تأنيب ضمير ، أفهل صاروا موتى العقول والأفهام ؟ أم أنهم يرضون الإسلام أشكالا ومظاهر ، ولا يتبعونه فى دائرة الواقع والحقيقة ! ؟ •

اللهم ٠٠ لا تسلط علينا نظاما يعد الأنفاس ! (١)

لدى زيارتى الأولى للسعودية كان يسألنى كل الأخوة — ولا سيما الشباب — الذين علموا أنى من الهند وأنى أرأس تحرير جريدة عربية ؛ عن مذابح « آسام » التى صادف وقوعها — من سوء الحظ — زمن زيارتى للملكة الكريمة ٠٠ وكنت آنذاك قد شرحت بعض أسباب الاضطرابات الطائفية فى الهند عامة ، والأسباب المتعلقة بوضع « آسام » خاصة ٠٠ فكان بعضهم يقتنع ، وبعضهم لا يقتنع ، ويقول : إن هذا يرجع إلى ضعف المسلمين أنفسهم ، لماذا لا ينتقم المسلمون من الظلمة الذين يصبون عليهم الويلات ؟ ٠٠ فأقول لهم : يا إخوتى هل تظنون أن المضروب يقف مكتوف اليد ساكتا واجما لا يحاول أن يرد الصاع بالصاع ؟ ! ٠

ولقد قلت لبعض الإخوة الذين رأيت فيهم وعيا إسلاميا كافيا ولمست فيهم خفة الروح والذكاء : إن المسلمين فى الهند مضطهدون فى أجسائهم ، ولكنهم — والحمد لله — ليسوا مضطهدين فى دينهم وعقيدتهم اضطهادا يلقاه المسلمون فى كثير من البلاد ، وطلبت منهم أن يدلونى على بلد يعيش فيه الإنسان المسلم من غير اضطهاد جسمانى أو عقيدى !! إن المسلمين مضطهدون قليلا أو كثيرا فى كل مكان ٠٠ ولا يرفعون صوتا ضد الاضطهاد ، إنهم يضربون ولا يستطيعون أن يتأوهوا ، يظلمون ولا يجوز لهم أن يبكوا ، يسحقون ولا يحق لهم أن يعولوا ٠٠ ولكن المسلمين فى الهند — والحمد لله لهم الحق أن يصيحوا إذا ضربوا ، ويرفعوا صوتهم بالعويل إذا شعروا بشدة الألم ، وقد تؤدى صيحتهم بعض الدور ، يمتنع الضارب بعض الوقت عن عملية الضرب ٠٠

قلت لهم إن بلادا إسلامية لا يستطيع الإنسان المسلم أن

---

(١) نشر فى العدد : ١٤/ السنة ٦ — يوم ٢٥/ مايو ١٩٨٣ م

يتنفس فيها بتلك الحرية التى يتنفس بها المرء المسلم فى الهند ..
إننا نبنى مدارس ومساجد ، ونقيم الشعائر ، ونعبد الله كما نشاء ،
ونصطدم بالهنادك على أمور خفيفة إذا كان فيها مساس بأى شعيرة
إسلامية ولو من بعيد ، ونجد فى كثرة وجيهة من الهنادك — الذين
فيهم بعض طيب الخلق ووعى كرم الجوار — آذانا صاغية .. فهم
يضمون صوتهم إلى صوتنا ، ويقفون بجانبنا ..

وعلى كل حال لسنا فى بلد تعد فيه الأنفاس ، ويعيش فيه
المرء وهو يخاف على نفسه من زوجتــه أو ابنه ، وأقــرب أقربائه
وأحب أحبائه ، لأنهم قد يسرقون أخباره إلى الحكومة فتسومهم
أشد أنواع العذاب ..

نعيش فى البد مستريحى الضمير ، مسترخى الصدر ، قريرى
العيون ، أما الذى بدأنا نواجهه مــن المواطنين — الهنــادك منذ
استقلال الهند — من الصدامات والاضطرابات ، فذاك شىء لا يرجع
إلى العصبية الدينية وحدها ولكن قد يرجع إلى مصالح الأحزاب
السياسية التى تزيد أن تكسب الشعبية ضد الحزب الحاكم ..

ونرجو الله العلى القدير أن يديم علينا راحة الضمير هذه ،
ولا يسلط علينا نظاما يعد الأنفاس .

إلى رشدكم يا قومنا ! (١)

إن هناك قضيتين تأتيان على رأس قائمة القضايا التى تهم الشعب الإسلامى الهندى اليوم ، وهما قضية « الأحوال الشخصية للمسلمين » وقضية اللغة الأردية ، وهما وحدهما اللتان تشغلان اليوم الحيز الأكبر من أعمدة الصحف والمجلات الإسلامية فى البلاد ، وتستقطبان القدر الأكبر من اهتمام المسلمين على اختلاف المذاهب والوجهات ، وتستغرقان الكمية الكبرى من الخدمة والوقت والجهد ، ولو استطعت أن تصغى لجو الهند وسمائها لسمعت لهما ضجة ما سمعت مثلها لشىء من الأشياء فى الوقت الراهن .

وتعقد لهما مؤتمرات وندوات ، وتطلق فى حقهما نداءات وتصريحات واحتجاجات ، وتكتب حولهما مقالات ، وتلقى محاضرات وخطابات ، ولقد كون ذلك كله جوا يدل على يقظة المسلمين الهنود الدينية ، وحيوية ضميرهم الإسلامى .

ولقد كانوا يخوضون المعركة مع الحكومة الهندية من أجلهما منذ وقت أطول ، منذ ما بعد الاستقلال مباشرة ، منذ أن أدركوا أنها تريد أن تقف منهما موقفا غير عادل ، بل وموقفا عدائيا ، وكانت المعركة التى كانوا يخوضونها بسلاح الدستور الهندى الذى أعطى الأقليات حق الاحتفاظ بثقافتها ودينها وحضارتها ولغتها وأدبها ، كانت قد حميت قليلا منذ الأعوام الأخيرة ، منذ أن شعر المسلمون أن الحكومة الهندية غير جادة فى إعطائهم حقهم ، ولا سيما الحقوق التى تتعلق بشخصيتهم الإسلامية وثقافتهم المميزة ، منذ أن شعروا أن العقلية الهندوكية المتطرفة المتعصبة قد أصبحت تملك فى الأجهزة الحكومية ومن السلطة ما تستطيع به تحويل البلاد دولة هندوكية فى الواقع العملى ، وفرض إرادتها على الأقلية

---

(١) نشر فى العدد : ٣/ السنة ٩ — يوم ١٠/١٠/١٩٨٥ م .

الإسلامية وعلى الأقليات الأخرى .. وأنها ــ عاجلا أو آجلا تستطيع أن تقول للأقليات فى صراحة لا تقبل تأويلا ، إن أمامكم أحد الخيارين إما أن تعيشوا فى الهند رهن إشارتنا وطوع أمرنا ، منصهرين فى بوتقة ديننا وحضارتنا وثقافتنا ، وإما أن تهاجروا إلى أرض لتعيشوا فيها وفق ما تريدون .

أما القضية الأولى ، وهى قضية « الأحوال الشخصية للمسلمين » وهى تخص المسلمين وحدهم أولا وآخرا ، فقد كونوا لها هيئة مستقلة بجانب عدد من الجماعات والمنظمات الإسلامية تقوم بمساعيها المشكورة فى هذه السبيل منذ اليوم الأول ..

وأما القضية الثانية وهى قضية اللغة الأردية ، وهى قضية مشتركة لجميع محبى اللغة والناطقين بها ، ولا تخص المسلمين دون غيرهم ، مع أن المسلمين هم الذين يشكلون عددا أكبر للناطقين بها كلغة التفاهم ولغة الثقافة والعلم والأدب ، ولهذا فقد كان يخوض المعركة للحصول على حق هذه اللغة كل من ينطق بها ويفضلها على اللغات الهندية الأخرى بصفتها أعذبها وأسهلها وأخفها ، وكان على رأسهم أدباؤها وشعراؤها وكتابها المسلمون الذين كانوا قد شكلوا لتحقيق الغرض المنشود جمعيات أردية كثيرة تطالب الحكومة بالاعتراف بها لغة ثانوية فى البلاد تلى الهندوكية فى العناية بإنهاضها ونشرها على المستوى الرسمى .

ثم حدث بشأن كل من القضيتين حادث جعل المعنيين بهما يشعرون بمدى المؤامرة التى تبيت ضد قضيتهم فى جدية وتفكير مدروس فى اتصال لا ينقطع ، ويدركون مدى الخطر المحدق بهم كالسيف المصلت على رأسهم ، لهذا وجب أن يواجهوا الخطر قبل أن يصير واقعا لا يدرك ، وأن يستجمعوا قواهم ، ويصبوا كل ما يمكنهم من الجهود فى قناة مطالبة الاعتراف بعدالة قضيتهم ، والاعتراف بالحقوق التى تستحقها فى ضوء الدستور الهندى .

أما الأردية فقد حدث فى شأنها أن أحـــد الوزراء الهندوكى الضيق الأفق فى المجلس الإقليمى بولاية « اترابراديش » قد أعرب عن رأيه المسموم ضدها بصورة علنية ، وكان الرأى يعكس إطار التفكير لدى الهندوس فى شأن الأردية ، حيث اتهمها بأنها مستوردة وبأنها لغة الغزاة المسلمين المستعمرين لهذه البلاد ، وتكرر اتهامه هذا فى عدد من الحفلات والمؤتمرات •• وكان المتوقع أن الحكومة الإقليمية ، أو الحزب الذى ينتمى إليه — وهو حزب المؤتمر — أو كبير وزراء الولاية أو الحكومة المركزية ستوأخذه بصورة من الصور على رأيه الذى يضاد دستور الهند وميثاق الحزب ومصلحة الحكومة المركزية والإقليمية ، ويلحق الأضرار بوحدة البلاد وأمنها ، ولا سيما بعد هذه الاحتجاجات الصارخة المتواصــلة التى لم تقف حتى الآن ، ولكن شيئا ما من هذا القبيل لم يحدث ، مما أكد أن الحكومة — وقد تسرب إليها أولو عصبية هندوكية من الهنادك ، وأصبح الحل والعقــد بأيديهم — قــد قررت أن تخضــع لإرادة الأغلبية وأن لا تفعل إلا ما تريده الأغلبية •• ومــا كان الهندوس ليحاربوا الأردية ويحسبوها مضادة للغتهم لو لم يكن أغلب الناطقين بها هم المسلمون لأنهم يتعصبون ضد كل شىء يتصل بالمسلمين •

وعلى كل فإن رجال الأردية قد قاموا الآن ليأخذوا حقها من الحكومة ، وربما لا يقعدون حتى يحصلوا عليه ، وما الحصول عليه بمرجو فى المستقبل القريب نظرا لسكوت الحكومة الذى يبدو كأنه لا يقبل التغيير •

وأما قضية الأحوال الشخصية للمسلمين ، فقد حدث فى شأنها أن إحدى السيدات المسلمات فى المنطقة الجنوبية للهند ، قد رفعت دعوى ضد الرجل المسلم — الذى كان قد طلقهــا — إلى المحكمة الهندية العليا ، وطلبت فيها من المحكمة أن تكلف الرجل باعطائها النفقة بعد الطــلاق ومضى مدة العدة •• فأصدرت المحكمة الأمر بإعطائه النفقة لها بقدر حددته حتى تتزوج رجلا آخر ، وصدرت

فى إصدارها هذا الأمر عن البند ١٢٥ فى القانون الجنائى الهندى ، وقالت إن « المتاع » الوارد فى القرآن ، إنما يعنى النفقة فيما بعد الطلاق ومضى المدة كذلك ، وصرحت فى المقدمة التى كتبتها لهـذا الحكم ، أن البند ١٢٥ هو الذى يكون سارى المفعول فى القضية المرفوعة للمحكمة ، مهما كان حكم الشريعة لدى المسلمين ، وأوصت الحكومة بتنفيذ القانون المدنى الموحد فى البـلاد ، لأن القوانين المختلفة تؤدى إلى تمزق البلاد وتخدش الأمن والسلامة .

وهذا الحادث قد بعث المعنيين بالقضايا الإسلامية فى الهند ــ بصورة غير معهودة ــ أن يصنعوا ما يستطيعونه لحصانة الأحوال الشخصية للمسلمين وصيانة الشريعة الإسلامية ، ولا سيما بعد ما رأوا أن جميع تصريحات الاحتجاج وجميع الحفلات والندوات التى أقاموها فى هذا الصدد لم تحرك من الحكومة ساكنا ، بل نهض بعض المأجورين وبعض مغسولى الأدمغة من المنتمين إلى الإسلام ليدلل فى داخل البرلمان الهندى على صحة الحكم الذى أصـدرته المحكمة العليا ، كما نهض عدد من السيدات المتحررات من قيود الإسلام ، وعدد من الكتاب المبغضين للإسلام المتسمين بالأسماء العربية الإسلامية التى تدل على كونهم مسلمين ، ليكتبوا مقالات ورسائل يثبتون من خلالها أن السيدات المسلمات مظلومات ، وأن الرجال المسلمين ظالمون !! .

ولكن أغلبية المسلمين الساحقة لا تحب إلا الإسلام كما هو ، دون تأويل أو شرح من عند من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ، ومن محكمة من المحاكم وبرلمان من البرلمانات .

ولقد نهض رجال العلم والفكر والدعوة ليواجهوا سدا التحدى الدينى الخطر ضد الشريعة الإسـلامية .. وحركـوا الجماعات والهيئات القائمة لخدمة الإسلام والمسلمين ، ونحمد الله أنها جميعا قد نشطت لتقوم بكل مساهمة ممكنة فى خدمة القضية الإسلامية ..

ولكن طبيعة هذا التحدى تتطلب أن يقف المسلمون صفا واحدا ، وأن يرأبوا كل صدع فى الصف ، وينبذوا جميع الخلافات الفرعية ، ويتنازلوا عن الأنانية الشخصية ، والعصبية الحزبية والجماعية ، لأنهم الآن قد وقفوا فى موقف حرج حساس جدا ، فى شأن قضية لهم لو خسروها — لا قدر الله — لخسروا شخصيتهم الإسلامية وكيانهم الدينى ..

ولكنهم يبدو كأنهم قرروا عدم الابتعاد عن هذا الداء العضال الذى يفت فى عضد المسلمين فى كل مكان فى العالم ، داء الفرقة والشقاق وداء الأنانية وداء المصلحة الفردية والحزبية والجماعية ، فى الوقت الذى قرر عدو القضية أن يحدث الفرقة فى الصف ، وأن يكسب من المأجورين من يحارب المسلمين من داخل الصف ، فنرى كل جماعة تحارب بشكل خفى أو جلى ما تقوم به الجماعة الأخرى ، وكل جماعة تريد أن تكسب الشعبية دون الأخرى ، وأن يسبح الناس بمجد مسئوليها وحدهم ..

ووالله إنهم لن يكسبوا هذه القضية ذات الأهمية القصوى لو أنهم ساروا على هذه الشاكلة ، ونفخوا فى أبواقهم المختلفة .

فإلى رشدكم يا قومنا فى مثل هذه القضية الخطيرة التى هى قضية الحياة أو الموت ..

وكانت الضجة عن حق (1)

إن ما أصدرته المحكمة العليا (SUPREM COURT) الهندية في الأيام الأخيرة فيما يتعلق بوجوب النفقة على الرجل المسلم نحو المرأة التى طلقها ما لم تتزوج ، قد ترك ضجة كبيرة فى المجتمع الإسلامى الهندى ، وتبادر قادة المسلمين وزعماؤهم الحريصون على شريعة ربهم ، فأصدروا بيانات احتجاج صريحة ضد هذا الحكم، وأخطروا المسئولين برد فعل المسلمين العنيف نحو هذا القرار .

وكانت الضجة عن حق ، لأن المسلمين يرونه تدخلا فى أحوالهم الشخصية ولا سيما وأن المحكمة تعدت حدود سلطتها لتتقدم إلى الحكومة توصية بضرورة تطبيق قانون مدنى موحد فى البلاد ، تذرعا بأن قوانين الأحوال الشخصية لأصحاب الديانات المختلفة التى تقوم على نظريات متضاربة ومتحاربة تجعل البلاد تعيش التناقضات ، وصرحت بأن الأخلاقيات تفضل الدين ، ولا يمكن التضحية بها فى سبيل الدين .. وصدر القضاة فى هذا الحكم عن جهل بالإسلام حيث قالوا : إن الآيات الخاصة من القرآن ، التى قال فيها محمد — ﷺ — كذا وكذا ، تسوجب مسئولية كبيرة على الرجل نحو المرأة التى طلقها .

وأضافت تقول : إن البند ١٢٥ من القانون الجنائى للدستور الهندى — الذى يستوجب إنفاق الرجل على المرأة المطلقة — لا يتصادم مع الأحوال الشخصية للمسلمين ، لأن الأحوال الشخصية تستوجب النفقة على الرجل نحو مطلقته فى مدة العدة ، والقانون الجنائى الهندى يستوجب الإنفاق عليها ريثما تتزوج .

وإن قلق المسلمين تجاه هذا الحكم ، يرجع إلى مخاوفهم من

---

(1) نشر فى العدد : ١٣/ السنة ٨ — يوم ١٩٨٥/٥/٢٥ م .

استغلال العناصر المغرضة المحاربة لأحوال المسلمين الشخصية ، لهذا الحكم لتأكيد ضرورة تطبيق قانون مدنى موحد ، كما ركزت على ذلك المحكمة العليا ، كما أن المسلمين يرونه متصادما مع أحوالهم الشخصية ويرونه محاولة للتدخل فيها .

وفى الوقت الذى يبدى فيه جمهور المسلمين وزعماؤهم وقادتهم قلقهم ومخاوفهم بشأن هذا القرار ، يحلو لبعض المسلمين ، ممن يزعمون أنهم ذوو الاتجاه العلمانى ، أو أنهم متحررون يريدون التخلص من قيود الدين وحدود الأخلاق ، أو ممن لهم بعض الأغراض الخسيسة ، يحلو لهؤلاء جميعا أن يبدوا سرورهم البالغ ، وارتياحهم الكبير نحو الحكم ، وقد طلب بعضهم علماء المسلمين وقادتهم بأن يبرهنوا إذا كان لديهم نص صريح يمنع المرء المسلم عن الإنفاق على مطلقته فيما بعد العدة .. وقد غاب عن بال هؤلاء — أو قصدوا أن يغيب — أن الإسلام دين رحمة ومواساة وكفالة ، وأنه قد حرض المرأ المسلم على ذلك بطرق مختلفة ، وأن الأخلاقيات الإسلامية تقتضى أن ينفق المرء على كل الفقراء والمساكين والعجزة ، وكل الذين عبس لهم وجه الحياة .. ولكن هناك فرقا بين الترغيب وبين الإيجاب ، إن الشريعة الإسلامية لم توجب على المرء المسلم النفقة نحو مطلقته فيما بعد العدة .. بينما هذا الحكم الصادر عن المحكمة العليا الهندية يوجب على المرء النفقة عليها ما لم تتزوج .

ولقد ساغ لبعض المغرضين أن يصيدوا فى الماء العكر ، فقالوا : إن مثل هذه المرأة المسلمة المطلقة التى تعيش الذل والمهانة والفقر المدقع ، كان لها كفالة من عند بيت المال فى نظام الخلافة الإسلامية ، فإذا تكرمت المحكمة الهندية بتكليف المرء بالإنفاق عليها ، فإنها اتبعت سنن الخلافة ونحن نسأل أمثال هؤلاء : لماذا لم تكفلها الحكومة بدورها ؟ ولماذا لم تنتظم لها الإنفاق من حسابها الخاص ، مثل الخلافة الإسلامية ؟ إن الخلافة الإسلامية فى عهدها لم تكلف المرء المسلم الإنفاق على مطلقته ، — ولو شاءت لكلفته إذا رأت مساغا لذلك فى الشريعة — وإنما هيأت لها المعاش من عندها .

وإن مما يزيد قلق المسلمين نحو هذا الحكم وأمثاله أن الحكومة الهندية رغم إعطائها الوعد بعدم التدخل في أحوال المسلمين الشخصية وإعطائها التأكيد لذلك مرات عديدة ، لا ترضى بحيلة أو بأخرى أن تلغى البند ٤٤ من الدستور الهندى الذى يقتضى أن تبذل محاولاتها لتطبيق قانون مدنى موحد ، رغم مطالبة المسلمين المتواصلة بذلك ، وحتى أنها لا ترضى أن تدخل على هذا البند من التعديل ما يستثنى المسلمين من ذلك ..

لو زرت هذه المدارس لرأيت عجبا ! (١)

فى مثل هذا الشهر : شهر شوال المكرم ، يبدأ العام التعليمى للمدارس والجامعات الإسلامية الأهلية فى شبه القارة الهندية ، لينتهى فى منتصف شعبان ، والفترة فيما بين ذلك فترة الإجازة السنوية .

ولو أتيح لك أن تزور هذه المدارس والجامعات فى شهر شوال لرأيت منظرا خلابا فريدا فى الشكل والمعنى ، لرأيت جنباتها غاصة بطلاب العلوم القاصدين من أنحاء البلاد . طلاب سيماهم البساطة فى المأكل والملبس ، تجدوهم الرغبة فى التزود من العلوم الإسلامية ، والتربية الدينية وخدمة الدعوة الإسلامية ، لا الرغبة فى منصب حكومى أو جاه رسمى أو كسب مادى ؛ لأن شهاداتها غير مقبولة لدى الحكومة ومدارسها وجامعاتها ، ولأن خريجيها لا أمل لهم فى المكاسب المادية العريضة أو المناصب الحكومية التى قد تدر رزقا واسعا وعيشا رغيدا ، والتى تتحلب لها الأفواه وتتلمظ لها الشفاه .

ولرأيت أن إجراءات الالتحاق تتم كذلك فى بساطة وسهولة ، ليس لها تعقيدات ولا سلسلة لقاءات طويلة ، واجتماعات فارغة ومقابلات كثيرة ، ومراجعات مملة ، وتردد على المكاتب .. ثم ليس هناك رسوم الالتحاق ولا رسوم تعليمية ، ولا أجور حجرات سكنية وتسهيلات دراسية ، بل التعليم مجانى والسكن مجانى ، والكتب معارة للطلاب ، والدواء والغذاء مجانى كذلك فى جل المدارس والجامعات ، ولا سيما الجامعة الأم ، الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند (الهند) ، التى تعطى طلابها بالإضافة إلى التعليم المجانى والسكن والكتب والغذاء والدواء والكساء عشرين روبية

---

(١) نشر فى العدد : ١٨ / السنة ٨ — يوم ٢٥/ يوليو ١٩٨٥ م.

شهريا ، وتسعين روبية مرتين فى السنة ، للأخذية والأكسية ، وملابس تقيهم البرد فى فصل الشتاء .

وقد تظن أن هذا التعليم إذا كان لا يستخدم لكسب الرزق وتحصيل المناصب الرسمية ، فقد يكون الإقبال عليه قليلا ، ولكنى أود من صميم القلب أن يتيح لك الله عز وجل أن تزور هذه المدارس والجامعات فى شهر الالتحاق ، لكى يزداد عجبك من هذا العدد الجم ، والكثرة الهائلة التى تقصد هذه المدارس وتلك الجامعات ، حسب سعة كل منها .. وهذا يدل هو الآخر على مدى الغيرة التى يتميز بها هذا الشعب المسلم وحرصه على الدعوة والرسالة ، ومدى احتضانه للكتاب والسنة ، ومدى صموده فى وجه الإغراءات المادية فى دنيا اليوم ، التى أصبحت فيها المادة أكبر الأصنام التى يقدم لها أكبر نصيب من العبادة والنذور والقرابين .

ومع تزايد إقبال أبناء العصر على حطام الدنيا وتزايد عنايتهم بجانب المادة والمعدة ، يتزايد عدد الطلاب فى هذه المدارس والجامعات كل عام ، وكانت بداية هذا العام الدراسى ١٤٠٥–١٤٠٦هـ تبشر بأمل باسم ومستقبل مشرق للتعليم الإسلامى والتربية الدينية بصورة عجيبة غير معهودة ، فقد تزايد عدد الطلاب فى كل من هذه المدارس والجامعات بشكل غير معهود ، كما تفيد الأنباء الواردة عنها ، ولا سيما الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند — وهى أكبر هذه المدارس والجامعات المعاصرة وأقدمها على الإطلاق — وقد ارتفعت نسبة عدد الطلاب فيها ضعفين ، رغما من شدة الشروط التى التزمها المسئولون لدى إجراءات الانتساب ، رغما من تشددهم فى الامتحان الذى يؤديه الراغب فى الانتساب ، مما يدل على أن الشعور بالحاجة إلى زيادة المؤهل العلمى قد نما لدى الطلاب فى السنوات الأخيرة ، وأن القائمين على المدارس والجامعات فى الهند قد أصغوا فى جدية إلى نداء الجامعة الأم (الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند) للعناية برفع مستوى الطلاب التعليمى والتربوى والأخلاقى ، حيث كانت قد لاحظت انحداره .

وإذا كان تزايد عدد الطلاب فى هذه المدارس والجامعات يعكس بشكل مباشر رغبتهم فى التزود من علوم الكتاب والسنة بقصد خدمة الدين والأمة والدعوة ، فإنى أرجو فى ثقة من هذه المدارس والجامعات أن تستغل هذه الرغبة أحسن استغلال ؛ لتحويلها إلى هواية إن شاء الله ، لأن الظروف تتطلب منا أن نجعل التعليم الإسلامى وكسب علوم الكتاب والسنة وبالتالى خدمة الدين والأمة هواية جميع الشباب الإسلامى ، والحاجة أكيدة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وفى الهند وشبه القارة الهندية بالذات ، إلى رجال أكفاء ودعاة مؤهلين ، وعلماء ذوى بصيرة وألمعية وذكاء غير عادى . ليقودوا سفينة الأمة فى هذه الأمواج المتلاطمة ، والرياح العاصفة فى نجاح وأمان .

أما بالنسبة إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند ، فيمكن أن نؤكد أنها أزمعت على هذا النهج الذى أشرنا إليه ، وسيحالفها التوفيق فى هذا الصدد ، فإن الله من وراء القصد ، وليس أدل على قصدها العازم من أنها قبلت هذا العدد الهائل من الطلاب فى العام الدراسى الحالى فوق طاقتها ، متوكلة على الله ، واثقة من هذا الشعب المسلم فى هذه الديار ، والذى استجاب دائما لدعوتها ، ووقف دائما بجانبها ، وقدم لها دائما ما أمكنه من دعم مادى ومعنوى ، وانطلاقا من هذه الثقة قال الرئيس المساعد للجامعة فضيلة الشيخ « وحيد الزمان الكيرانوى » ، فى إحدى الحفلات الشعبية خلال جولته الميدانية الموسعة بهدف تعريف الشعب بمشاريع الجامعة التعليمية والبنائية الجديدة : إن الجامعة هى الوحيدة بين شقيقاتها ، من المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية إنها الوحدة التى ليس لها حسابات عريضة فى البنوك ، وإنما حسابات فى جيوبكم أيها الشعب المسلم الغيور ، وأنه قد يمر على الجامعة يوم لا توجد عندها نفقة غد ، ولا يوجد عندها ما تصرف به رواتب هذا العدد الهائل الهائل من الأساتذة والموظفين ، ولكن لا تمضى ليلة الغد إلا وقد وفر الله لها ما يفرج عنها الحزن من حيث لا تحتسب .

قلاع حصينة للدين (١)

لقد بدأت المدارس والجامعات الإسلامية فى شبه القارة الهندية عامها الدراسى فى شهر شوال ١٤٠٦ هـ ـ ١٤٠٧ هـ ككل الأعوام الدراسية ، وتم قبول الطلاب الجدد ، كما تم نقل الطلاب القدامى ... إلى السنوات الأعلى ، وانتهت عملية الترتيبات اللازمة لبداية التعليم ، وبدأ التعليم فعلا ..

وإن الشىء الجدير بالملاحظة فى هذه المناسبة ـ أن عدد الطلاب يتزايد كل عام ، كما تتزايد المدارس ، رغم أن المتخرجين فى هذه الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية والحائزين على شهاداتها ، لا يجدون أمامهم فرصة المناصب الرسمية والوظائف الحكومية ، ذات الرواتب المرغوب فيها ، ولا تقبلهم الجامعات والكليات الحكومية ـ إلا استثناء ـ أساتذة ومدرسين عندها ..

ورغم ذلك فإن نسبة الطّلاب ترتفع فى كل من هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية ، التى تسير بتبرعات المسلمين وحدهم، ولا تقبل أى معونة من الحكومة ، ويزداد إقبال أفلاذ أكباد المسلمين عليها ، مما يدل على أن الوعى الدينى بات يزداد فى المسلمين ، وأن الشعور بصيانة العقيدة ، وتحصين الشريعة ، وحماية الجيل الناشىء من الذوبان فى العقائد وتعاليم الديانات المختلفة ـ والهند من أخصب بلاد الله ديانة ـ قد أخذ حظه بالفعل فى قلوبهم ، وذاك شىء جدير بالإشارة والتسجيل .. وإن ذلك يرجع إلى طبيعة الصراع الذى فرض عليهم أن يعيشوه مع المواطنين الهندوس ، وهم الأغلبية الكاسحة ، حيث جعلوا المسلمين بمواقفهم غير المعقولة يشعرون أن كيانهم الدينى غير مأمون ، وأن وجودهم العقيدى فى خطر شديد .

---

(١) نشر فى العدد : ١٩ / السنة ٩ ـ اليوم يوم ١٩٨٦/٧/١٠ م .

إن طبيعة الصراع بين أمتين يبعث كلا منهما على إعداد العدة وصنع القوة ، والعناية بمرتكزاتها العقيدية والحضارية والثقافية : حتى لا يمسها أحد بسوء •

كم من محاولات وكم من مساع بذلت وتبذل من أجل القضاء على الكيان الإسلامى فى الهند ، ومن أجل نزع النشء الإسلامى من حضن الدين والعقيدة ، ومن أجل إرغام المسلمين على أن يتخلوا — إذا أرادوا أن يعيشوا فى هذا البلد — كليا أو جزئيا عن شريعتهم ومقتضى دينهم ، وعن شخصيتهم الإسلامية المتميزة ، وأن يذوبوا فى بوتقة الشخصية الوطنية العلمانية العامة •• ولكن المسلمين — بفضل من الله وحده — لم يقبلوا ذلك فى قليل أو كثير ، بل ازدادوا عناية بما يحمى دينهم ، ويصون شريعتهم ، ويمنع شخصيتهم من الذوبان ، ويمنع جيلهم الجديد من الارتماء فى حضن المعتقدات الخرافية والتقاليد والطقوس الوثنية •

وإن هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية — كما قلت مرارا — قلاع حصينة للدين ، وهى التى تضمن للمسلمين بقاءهم وبقاء دينهم مع جميع مزاياهم الحضارية والثقافية ، ولولاها لما كان لهم هذا الكيان الدينى الشامخ المستقل الصلب الذى لا يقبل أى عملية للكسر والتذويب والدمج •• فهى التى تخرج لهم علماء الكتاب والسنة ، ودعاة الدين ، وخطباء الإسلام ، وأئمة المساجد ، وقادة الفكر ، ورجال التربية والتعليم وزعماء الإصلاح ، وكتابا ومؤلفين فى المواضيع الإسلامية وصحفيين إسلاميين ، وأدباء الدعوة والتبليغ ، وأساتذة الدراسات الإسلامية ، والباحثين فى علوم الكتاب والسنة ، وعلماء العربية بآدابها وفنونها وصانعى الرجال ، ومخرجى الأبطال ، ومربى الأجيال •• فليهنأ للمسلمين شعورهم الدينى المتزايد ، وليهنأ للمدارس والجامعات الإسلامية هذا الامتداد والانتشار ، وليهنأ للجيل الإسلامى الناشىء هذا الإقبال المطلوب على دور التعليم والتربية ومراكز الإشعاع الفكرى والعقيدى ••

ماذا تعنى « المدرسة » فى الهند ؟[1]

إن المرابطين علىَ الثغر الإسلامى فى الهند كانوا عقلاء أذكياء يوم شادوا للحفاظ على الكيان الإسلامى فى مدى البلاد معاقل حصينة فى صورة المدارس والمعاهد ، إنهم رأوا أنه لا يمكن الوقوف فى وجه الخصوم الفاتحين — أعنى الإنجليز والقساوسة ورجال الإرساليات التبشيرية — الذين يملكون الحول والطول ، والجنود والبنود ، ويتمتعون بأكبر سلطة وقوة على وجه الأرض فى عصرهم ، وحكومات موطدة الأركان ، ومملكة شامخة البنيان لا تغرب عنها الشمس ، لا يمكن الوقوف فى وجههم بسلاح الحديد والنار ولا سبيل إلى مقاومة زحفهم العقائدى الذى يمده زحفهم الاستعمارى السياسى بشن معركة مكشوفة فى الميدان تنفع فيها قوة الساعد والسنان .

ولقد جربوا — فعلا — محاولات عديدة للتخلص وخاضوا معارك عديدة ، ولكنها باءت بالفشل وكان آخرها تلك المعركة التى خاضتها مع الإنجليز فى ميدان قرية « شاملى » (الواقعة على مقربة نحو خمسين ميلا من مدينة ديوبند التى تحتضن أكبر وأقدم جامعة إسلامية خاصة بالمسلمين) الكتيبة المؤمنة المؤلفة من خلاصة عباد الله المخلصين ، والعلماء العاملين ، وعلى رأسهم الإمام « محمد قاسم النانوتوى » أحد مؤسسى جامعة ديوبند ، والحاج الصالح « أمداد الله » المعروف بالمهاجر المكى ، والعلاقة الفقيه « رشيد أحمد الكنكوهى » والحافظ ضامن (الذى وقع شهيدا على أرض اعركة) وغيرهم ، ذلك لأن السلطة الحاكمة لا تقارم إلا بسلطة مثلها .

ولهذا كان من المحتم إنشاء معاقل منيعة يهجمون منها على أوكار العدو ، وتتكسر على صخرتها كل هجمة تصطدم بها ، ويربون فى داخلها الصفوة المختارة ، والخلاصة المصطفاة من فتيان الإسلام ،

---

(١) نشر فى العدد : ١٢/ السنة ٧ — يوم ٢٥ / ابريل ١٩٨٤ م .

تربية دينية وإيمانية صحيحة ، ويدججونهم بالأسلحة العلمية من كل نوع ينفع فى المعركة ، وتكون بمثابة مراكز النوعية والأشـــعاع الدينى والعلمى ، والثقافى والتربوى الذى يرجع إليه الشعب المسلم فى كل شأن من شئون دينه وعقيـــدته ، ويشحن هنـــاك بطـــاريته الإيمانية ، وتكون كذلك بمثابة ثكنات إسلامية تمتلىء بقوات مسلحة مدربة ذات غناء وكفاءة لدى كل معركة بين الجاهلية والإســـلام ، وبين لهيب « أبى لهب » وسراج النبى محمد ـــ ﷺ ـــ طبقا لتعبير الشاعر الإسلامى الدكتور محمد إقبال ـــ •

ولم تكن هذه الخطوة أمرا هينا وإنما كانت دعـــوة للمـــوت الزؤام وذلك لأن الإنجليز ـــ هم الآخرون ـــ نظـــروا إلى هـــذه المدارس باعتبارها ثكنات إسلامية ، فقد كانوا أذكياء فى السياسة ، يدركون خطورة الأمر قبل تمامه ، ويتبينون أعقاب الأمور بالنظر إلى صدورها مهما كانت أشباهاً ملتوية (١) •

فحسبوا هذا الأمر حسابا دقيقا ، وتتبعوا المحاولات الإسلامية الهادفة إلى هذه الناحية ، وصبوا الويلات على أبطالها ، والدليـــل على ذلك ـــ مثلا ـــ قصة تعقب ومحاولات اعتقال الإمام « محمـــد قاسم النانوتوى » والشيخ الحاج عابد حسين من مؤسسى جامعة ديوبند وغيرهما ، تلك المحاولات التى دأبت عليها السلطة الإنجليزية، حتى قضوا نحبهم وما بدلوا تبديلا •• وعلى ذلك فكم من أبطـــال المرابطين على الثغر الإسلامى ـــ بأسلوب من أساليب المرابطة ـــ عذب ، وشرد ، ونفى وقتل ، وأهين •

يتضـــح من ذلك أن « المدرســـة » إذا كانت تعنى فى بلد ما مؤسسة تعليمية تلقن العلم والمعرفة فقط ، وتزود الطلاب بالمعلومات الثقافية وحدها ، فإنها فى شبه القارة الهندية أعمق من ذلك وأوسع ، وأشمل وأدق ، إنها تعنى تلك الأهداف السامية التى أشرنا إليهـــا

---

(١) تلميح إلى بيت الحماسة :

تبين أعقاب الأمور إذا مضت وتقبل أشباها عليك صدورها

آنفا ، إنها بمنزلة آلة تنفخ الحيـــاة فى كيان المسلمين الدينى ، إنها وسيلة وحيدة لإبقاء المسلمين على الإســـلام فى هذه الديار ، إن المسلمين ههنا يحتاجون إليها احتياج الجائع إلى الغذاء والمريض إلى الدواء ، والعريان إلى الكساء ، بل السمك إلى المـــاء .

وإن مما يجـــدر بالتسجيل والملاحظـــة أن المسلمين الهنـــود لا يطلقون كلمة « المدرسة » إلا على المدارس العربية الإســـلامية الأهلية التى أقاموها لتلك الأغراض العظيمة ، أما المدارس الحكومية فلا يدعونها إلا بكلمة « اسكول » الإنجليزية التى دخلت فى اللغـــة الأردية ، ثم إنهم توسعوا فى كلمـــة « المدرســـة » فأطلقوها على صغرى المدارس مثـــل الكتاتيب ، وعلى كبرى المدارس حتى التى تعدل الجامعات .

وإذا كانت المدرسة قد أدت فيما قبل استقلال الهند وتقسيمها ذلك الدور الجامع ، فإنها تؤدى اليوم دورا لا يقل عن الأول ، بل قد يفوقه بالقياس إلى الظروف والملابسات التى خلقها الاستقلال والتقسيم ، والعصبيات الطائفية التى عمل الإنجليز على بث سمومها فى المجتمع الهندى ، وزرع الإحن والعداوة والحقد فيما بين الهندوس والمسلمين ، وما جلوا عن الهند حتى ثبتوا الشعور فى قلوب المواطنين الهنادك بأن المسلمين هم خطرهم الحقيقى ومنافســـهم الوحيـــد ، وعدوهم الطبيعى فى هذه البلاد .

ولقد تحولت الهند بعد الاستقلال إلى دولة علمانية ، وقـــرر واضعو الدستور أن الحكومة لا تتعرض لدين المواطنين وعقيدتهم نفيا أو إثباتا ، ولا تعلمهم ذلك فى مدارسها وجامعاتها إلا كمـــادة المعارف العامة ، لأن الهند ذات ألوان وأشكال من الأديان والنحل ، فليكن الحبل فى هذا الشأن متروكا على غارب المواطنين ، هنالك برز دور هذه المدارس ، لأن المسلمين لم تعد لديهم وســـيلة إلى تعلم الدين والعقيدة ، والكتـــاب والســـنة ، والاسترشاد فى الشـــئون والقضايا الدينية ، والاستعانة فيما يتعلق بالحفاظ على حقـــوقهم وصيانة شخصيتهم الإســـلامية من الذوبان والاندماج فى معتقدات

الأغلبية الهندوكية لم يعد نديهم إلا هذه المدارس والمؤسسات التى نشروا شبكتها فى طول البلاد وعرضها .

ولهذا أكثروا من إنشاء المدارس ، حتى بلغت عشرات الآلاف — فيما بين الصغيرة والكبيرة — ولا تزال هـــذه السلسلة المبـــاركة لإنشاء المدارس والمؤسسات قائمة ، والمعنيون بالقضايا الإسلامية من أفاضل علماء الهند دائموا الدراسة لأوضـــاع المسلمين الدينية والاجتماعية فى كل منطقة فى الهند ، ودائبو التفكير فى إنشاء أمثال هذه القلاع فى كل مكان يحتاج إليها ، وتوسع نطاق القديمـــة منها وتجديدها وتطويرها .

ولذلك فإن تقديم العون لهذه المدارس والجامعات الإســـلامية الأهلية فى الهند يعنى إسعاف المسلمين بشأن الحفـــاظ على الدين والعقيدة والكيان الإسلامى فى هذه البلاد ، ولايعنى مجرد تقـــديم العون للتزود بالمعلومات الثقافية والدينية وحدها .

قصة المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية

فى شبه القارة الهندية

إذا كان هنـــاك شـــعب أثبت تماســـكه المطلوب فى الصراع الحضارى والثقافى والعقيدى ، معتمدا كل الاعتماد على عون الله ، ثم ساعده ، وأكد نجاحه إلى حد كبير فى صـــنع مستقبله بيـــده ، وكتابة حظه بمداد من جهده العقلى ووعيه العقيدى المتيقظ ، وذكائه الفكرى والدينى ، رغم اتصال المؤامرات وتسلسل المحاولات منـــذ مدة متطاولة بقصد تفريغه من أصالته الحضارية والثقافية والعقيدية، فإنه شعب عظيم حقا ، سيتكسر — بإذن الله — على صخر عظمته وصموده ، كل نوع من محاولات تذويبه واحتوائه ... لأن عظمة الشعب لا تقاس بكثرة أفراده وغنائه المادى ، وتطوره فى الشـــكل والمظهر ، وارتفاع مستواه الاقتصـــادى والمعيشى وإجادته لفـــن المحاكاة والتقليد ، وإكثاره من استيراد الخبرات والمناهج والأفكار .. وإنما تقاس عظمته بمدى قدرته على تجاوز المحن والأزمات ، والنجاح فى إحباط المؤامرات التى تحاك ضد ما يعتز به من عقيدة ودين وهدف ، وضد قيمه ومثله الحضارية العريقة التى تميزه عن غيره من الشعوب .. وإنما تقاس عظمته بقدر ما يتمتع به من غيره على مقوماته ، وبقدر أصالة الفكر والتراث .

ذلكم هو شأن الشعب الإسلامى الهندى الأبى المعتز بدينـــه وبكل ما يمت إليه بصلة ما ، والذى أبى أن ينهار أمـــام الاستعمار القوى الماكر ومحاولاته لتذويبه وصهره فى بوتقة المسيحية المشوهة والصليبية الحاقدة .. ولا يزال يخـــوض أعنف صراع حضـــارى وعقيدى تدور رحاه على طول الأرض التى يسكنها ، والتى أفـــرغ

---

(١) نشر فى العدد : ١٧ / السنة ٨ — ١٠/ يوليو ١٩٨٥ م .

فى تطويرها الحضارى أصلح ما عنده من كفاءة وذكاء وجهد طوال القرون المتطاولة •

نحن نعرف أن هناك شعوبا إسلامية فى كثير من بلاد الله ذات الحضارة العريقة والعقيدة الراسخة ، ومع ذلك استطاع الاستعمار أن يفرض عليها الاستسلام كليا أو جزئيا ، ولم توفق من سوء الحظ — رغم العقول المفكرة ورغم القيادة الجريئة — أن تصمد فى وجه الاستعمار الذى منيت به صمودا مطلوبا ، ولم تقدر على إحباط محاولاته الماكرة فكريا وعقديا ••

ولكن الشعب الإسلامى الذى يقطن هذه القارة الشرقية ، قد استطاع بحول الله وقوته ، وبذكائه الدينى غير العادى ، وبما يمتاز به من صدق الولاء والانتماء إلى النبى العربى الهاشمى القرشى سيدنا محمد — ﷺ — ورسالته ودعوته الخالدة الباقية ، وبروح التضحية والتفانى فى سبيل الدين الذى يعتز به ، تلك الروح التى خلقتها فيه التربية الدينية والإيمانية الصحيحة ، التى أخذه بها العلماء الربانيون ، والدعاة الصادقون ، الذين عصروا قواهم الفكرية والدعوية فى القيام بخدمة الدعوة والقرآن — استطاع أن يحبط محاولات الاستعمار البريطانى فيما يتعلق بنزعه من حضن الدين الإسلامى والحضارة الإسلامية والدعوة المحمدية ، وإن استطاع الاستعمار أن يلحق به بعض الخسائر سياسيا واقتصاديا ، فإنه لم يستطع بحيلة أو بأخرى أن يلحق به الأضرار حضاريا أو عقيديا ودينيا ، رغم نظام التعليم والتربية الغربى الذى فرضه على أبناء البلد وأبناء هذه القارة ، ليعد منهم جيلا هنديا فى جنسيته ولونه ودمه وأوربيا فى فكره وعقيدته ومنهج حياته ، كما صرح بذلك أحد قادة الاستعمار وهو يفصح عن هدفه من نظام التعليم والتربية الذى كان مطبقا فى هذه الديار •

أ تدرى ماذا صنع هذا الشعب ليبقى صلب القناة تجاه

الاستعمار الغاشم ومؤامراته الاحتوائية والتذويبية ؟ محافظا على دينه وعقيدته وحضارته ؟ مبقيا على الكيان الإسلامى بمزاياه وخصائصه ؟

لقد رأى أن الاستعمار قد قضى تماما على الدولة المغولية الإسلامية — التى كانت على علاتها ترسا للإسلام والمسلمين فى الشرق الإسلامى — وأنه أحكم قبضته على هذه البلاد ، وأنه يحاول بكل ثقله السياسى والاقتصادى والثقافى والتعليمى أن يطمس معالم الإسلام فى هذه الأرض ، وأن يجعلها أثرا بعد عين ، ويخلق أندلسا آخر فى الشرق ، ويحل حضارته وثقافته محل الحضارة والثقافة الإسلامية ، ورأى أن الإسلام وحده هو الهدف الأكبر الحقيقى ، وأن المواجهة والمجابهة ليست إلا بين المسيحية والإسلام — رغم عدد من الديانات العريقة فى هذه الديار ذات الوثنية الذاهبة فى أعماق التاريخ — لأنه وحده الذى لا يعرف المسالمة والمهادنة والمساومة مع غيره من الديانات ، ويجرى مع الرياح حيث هبت ، أما غيره من الديانات فهى تقبل الميوعة والاندماج والذوبان فى يسر ، وترضى بالمساومة على « المنافع والأرباح » و « الخسائر » فى سهولة ..

ورأى أنه لا سبيل إلى مجابهته فى القريب العاجل فى الميدان بقوة الساعد والسنان ، فمال إلى إنشاء قلاع دينية فى صورة المدارس والجامعات الإسلامية والمجامع والمؤسسات الثقافية ، يربى داخلها النشء الإسلامى على التربية الإسلامية ، ويثقفها بالثقافة الإسلامية ، ويغذى المجتمع الإسلامى ، بالدم الإسلامى الصحيح الصافى ، ويعد جيلا هنديا فى جنسته ودمه ولونه ، حجازيا ومحمديا فى دينه وعقيدته وتفكيره ومنهج حياته ، ويقاوم كل المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، ويعمل على محاربة الاستعمار وإزالة ضبابه الكثيف الخبيث عن جو هذه الأرض وسمائها ، وقد كان هذا الشعب الإسلامى الوفى المخلص موفقا فى ذلك ، وقد تم له كل ما أراد ، وجاء يوم جلا فيه الاستعمار بعد مدة طويلة زرع خلالها نباتات

خبيثة من الحضارة والثقافة ، وأمراض الإحن والحقد والبغضاء بين أبناء هذه القارة المنتمين إلى ديانات شتى وجنسيات مختلفة ، ولا يزالون يعانون من حصادها المر ويلات لا أول لها ولا آخر •

تلك هى الحلقات الأولى من قصة هذه المدارس والجامعات الإسلامية المنبثة فى طول شبه القارة الهندية وعرضها والتى أدت دور الحارس الأمين والمرابط النشيط اليقظ فى صيانة الكيان الإسلامى والحفاظ على شعائر الإسلام فى هذه الديار ، ومنعت الهند من أن تتحول أندلسا أخرى ، وقفت دون إرادة الصليبية التى حاولت أن تنتقم من الإسلام فى هذه الديار ، لقاء الذل الذى أذاقه إياها صلاح الدين الأيوبى — أحد أبناء الإسلام البررة — فى فلسطين •

وللقصة حلقات لاحقة تحتاج إلى صفحات واسعة ، وقلم سيال سريع السير ، وقارىء صبور لا يعرف الملل ، وإيجازها فى كلمات أن هذه المدارس والجامعات الإسلامية ، أدت دور الجندى الوفى فى المرابطة على الثغر الإسلامى فى هذه الظروف العصيبة التى أعقبت الاستقلال •

وجلا الاستعمار بمساعى التحرير التى قام بها أبناء البلاد ، وكانت لأبنا الإسلام الأولوية والقدح المعلى فيها ، وقامت فى الهند دولة علمانية لا تنحاز لدين دون دين ، وإنما تركت الحبل فيما يتعلق بالدين والعقيدة على الغارب •• ولكن أدواء الإحن والبغضاء والعداء ، التى رمى بها الاستعمار أبناء هذه البلاد ، أعطت ثمارها البغيضة ، وبدأت سلسلة الصراع بين أبناء الإسلام وبين غيرهم من أبناء البلاد الذين كانوا الأكثرية ، وهم الإخوان الهندوس ، ويبرد الصراع فى مكان ليسخن فى آخر ، ولكنه قائم على قدم وساق ، إنه هو الآخر صراع حضارى وثقافى دقيق وعميق وشامل ، يستهدف عقيدة المسلمين وثقافتهم وشريعة ربهم وأحكام كتابه وسنة نبيه ، وقد تكون الحكومة معذورة بحكم موقفها العلمانى ، وقد تكون

متفرجة أو واقفة موقف اللف والدوران بحكم أغلبية الإخوان الهندوس فى البلاد ، وفى السلطة على السواء .. ولكن مسئولية المسلمين ومسئولية غيرهم من المواطنين أيضا تبقى قائمة نحو الحفاظ على العقيدة التى ينتمون إليها ، والدين الذى يتبعونه .

هنالك برز دور هذه المدارس والجامعات — وعلى رأسها الجامعة الأم : الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند (الهند) — لأنه لم يعد هناك سبيل إلى الحفاظ على العقيدة وتوعية المجتمع الإسلامى بأحكام الكتاب والسنة وإنارة الطريق أمام المسلمين ليعيشوا مسلمين ويموتوا مسلمين ، ويربوا أولادهم وأفلاذ أكبادهم على تعاليم الإسلام ، لم يعد من سبيل إلا سبيل هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية ، التى تسير بتبرعاتهم وحدها فى أغلب الأحايين .

وإن كل ما ترى اليوم فى شبه القارة الهندية من المد الإسلامى المتزايد ، وكون الشعب الإسلامى مرهف الشعور وحار العاطفة ، وشديد الحب لله ولرسوله — ﷺ — ، وكثير الحنين إلى مطلع فجر الإسلام ومهد الإيمان ، ومن كون الثقافة الإسلامية تؤدى دورها المرتقب رغم المناخ الغير الملائم ، وكون أبناء الإسلام يعيشون بمزاياهم الحضارية والثقافية والدعوية إنما يرجع الفضل فى كل ذلك إلى هذه المدارس والجامعات والمؤسسات والمعاهد الثقافية المنبثقة منها ، والحركات والدعوات المتفجرة من ينبوعها ..

ولقد سبق أن قلت : إن المدارس والجامعات الإسلامية إذا كانت تعنى فى غير الهند مجرد مراكز للتثقيف والتعليم والتربية فإنها فى الهند تحمل معنى أدق وأشمل من ذلك إنها قلاع الإسلام ههنا ، إنها تصنع الرجال ، وتربى الأبطال ، وتخرج الدعاة وتصوغ العلماء والباحثين ، وتمد المجتمع الإسلامى الهندى بكل ما يحتاج إليه من غذاء روحى ودواء إيمانى ووعى إسلامى ، وتسعفه بكل

توجيه وإرشاد يحتاجه فيما يتصل بدينه ودنياه ، وتغذيه بالعقول المفكرة والرؤوس المدبرة والقيادة الصالحة ، وتوقد مجامر القلوب إذا خمدت ، وتشعل العواطف إذا فترت ، وتوقظ المواهب إذا جمدت ، فلتبق هذه القلاع حصينة متينة ، لتزدهر هذه الدوحات ولتتفرع ، ولتنمو هذه الأشجار وتورق وتزهر وتثمر أكثر من ذى قبل ..

الهيئـة الخـيرية المعطـاءة (1)

إن الواجب على التاريخ أن يسجل بحروف عريضـة ما يمتاز به المسلمون فى الهند ـ ولا سيما علماؤهم وقادتهم الدينيون ورجال الفكر والدعـوة فيهم ـ من التيقظ والحساسية المطلوبة نحـو كل محاولة ضد أى شىء من أحكام دينهم وعقيدتهم وشريعتهم ، ومن الملاحقة الدائبة لكل رأى أو فكرة تمس كرامة الأحكام الشرعية من قريب أو بعيد ، وهو الشىء الوحيد الذى جعلهم يعيشون فى هـذه البلاد ـ بعد سقوط حكمهم وخلال الحكم الاستعمارى البريطانى ، وبعد استقلال الهند ، الذى خلق أوضاعا جديدة ، ومتطلبات جديدة، وقضايا غير التى عاشتها الهنـد من قبل ـ بشخصيتهم الإسـلامية المستقلة ، مرفوعى الرأس ، فارعى القامة .

لقد أفرزت الظروف التى نالت الهند فيها الاستقلال ، وتوزعت بين دولتين : الهند وباكستان ، مشكلات كثيرة لم يكـن المسلمون ليثبتوا قدرتهم على تجاوزها ، إلا بذكاء دينى وغيرة إسلامية وولاء صادق للدين والعقيدة ، ولقد كانوا يتمتعون بكل ذلك بفضل ما غرس فى قلوبهم العلماء الربانيون ودعاة الإسـلام الصادقون ، والمربون الإسلاميون المخلصون الذين أحسنوا تربية الجيل الإسـلامى فى هذه المنطقة من دنيا الله ، فقد تم على أرض هذه القارة عبر قرون طويلة أروع جهد فى تعليم الشبيبة الإسلامية ، وتربيتها الدينية ، وفى خدمة الثقافة والدعوة والرسالة الإسلامية .

فبعد تحرير الهند (ولا سيما بعد انقراض الجيل الهندوسى الذى تكاتف مع المسلمين فى معركة تحرير الهند ، وشـهد حسـن بلائهم وصدق تضحيتهم ، ونصيبهم الأكبر فى العمـل على جـلاء

---

(1) نشر فى العدد : 12/ السنة 8 ـ يوم 25/4/1985 م .

الاستعمار ، وبعده فى بناء الوطن وتنميته وإنهاضه من كل الوجوه) جاء جيل جديد يجهل ــ وأحيانا كثيرة يتجاهل ــ تضحيات المسلمين فى سبيل خدمة الوطن ، هذا الجيل تربى على معانى العداء للمسلمين ولكل ما يتصل بهم وبدينهم ، وأتيح له أن يشغل مناصب حساسة فى الحكومة ، ويدبر دفة السلطة والإدارة فى هذه البلاد ، ورأى هذا الجيل أن المسلمين لا يزالون يعيشــون بخصــائصهم وشخصيتهم الإسلامية وثقافتهم العربية والإسلامية ، فبدأ ببذل جهده لمحو تلك الشخصية وأخذ يزرع العقبات فى طريق عمل المسلمين بأحكام الكتاب والسنة ، من خلال الدعوة إلى الانصهار فى بوتقة الوطنية حينا ــ بهدف الإبقاء على الوحدة الوطنية ــ ومن خلال تأكيد الحاجة إلى الانحراف مع التيار القومى ، وإلى تنفيذ قانون مــدنى موحــد لجميع المواطنين حينا آخر ، وذلك بالرغم من أنه قد تقرر أن الهند جمهورية علمانية ــ حسب الدســتور الذى أقــره القــادة بعــد استقلالها ــ يتمتع كل المواطنين فى ظله بكل حرية فيما يتعلق بدينهم وشريعتهم •

وفى هذا النطاق بالذات ، ومن هذا المنطلق نفســه ، ترفــع الأصوات من حين لآخر لإدخــال تعديلات على قانون الأحــوال الشخصية للمسلمين ، بهدف التدرج بهم إلى « الانحراف مع التيار القومى » و « الانصهار فى بوتقة الوطنية » وأخيرا إلى تهنيــدهم بمعنى هندكتهم تماما •

ولم يكن هذا الواقــع ليشد انتبــاه المسلمين كثيرا ، ويثير فى قلوبهم مخاوف وشكوكا ، أو شعورا بعدم الاستقرار أو الضــياع لو كان مثل هذا الهتاف مصــدره الطبقة المتطــرفة من الإخــوان المواطنين الهندوس ، تلك الطبقة التى لا ترى للمسلمين حق البقــاء فى الهند أصلا ، وأنه لابد لهم ، إما أن يخرجوا من الهند أو يقبلوا عملية « التهنيد » ــ أى عملية الهندكة فى أبعادها الحقيقية •

وإنمــا الذى يثير قلق المســلمين ، ويقض مضــجعهم ، تلك

البيانات والتصريحات والإشارات التى يطلقها أولئك الذين يزعمون أنهم ذوو الاتجاهات العلمانية ، وأنهم يتسمون بالتفكير الموضوعى فى القضايا الوطنية ومشكلات المواطنين ، على اختلاف طبقاتهم ودياناتهم واتجاهاتهم .

ويزيد الطين بلة ما يقع من المسئولين الحكوميين والإداريين — وعلى صعيد الحكومة بالذات — من محاولات فى هذا المجال تستهدف قانون الأوقاف الإسلامية ، وقضية الطلاق والخلع ، وقضية التبنى ، وقضية نفقة المرأة المطلقة ، وقضية فرض ضريبة الربح على الأوقاف إلى غير ذلك ، مما يمس الأحوال الشخصية للمسلمين ، ويهدد شخصيتهم الإسلامية المستقلة وحريتهم الدينية .

وقد يستند المسئولون فى هذا الشأن إلى بيانات وأقوال تصدر عن أفواه مغسولى الأدمغة من الإباحيين والمتحررين من المنتمين إلى الإسلام ممن لم يستقر الإسلام فى قلوبهم ، أو من الذين يريدون أن يتخلصوا من ربقة الإسلام وقيوده ، أو من كانت معلوماتهم عن الإسلام غير وافية وغير مباشرة ، ولا يعرفون من الدين إلا اسمه وهؤلاء لا يمكن أن يمثلوا المسلمين فى الهند ولكن المسئولين يتصيدونهم بما صدر من أفواههم من هراء ، وليقولوا إن المسلمين بدورهم يطلبون إدخال تعديلات على قانون الأحوال الشخصية لهم ، ومادام هم الذين يطلبون ذلك فلابد من الاستجابة .

من أجل ذلك مست الحاجة إلى أن يكون قادة المسلمين — ورجال الفكر والدعوة فيهم ، والمعنيون بشئون دينهم على اختلاف طبقاتهم — هيئة ، ليقاوموا من على منبرها كل المحاولات الرامية إلى تغيير أحوالهم الشخصية وقوانينهم الدينية ، وإلى إذابة شخصيتهم الإسلامية .

فأسسوا فعلا فى ١٩٧٢ م « هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين » تحت قيادة جامعتهم الإسلامية العريقة الأم : الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند ، التى كانت ولاتزال معقلهم الدينى

والدعوى والفكرى ، متمثلة فى كبار أبنائها وعظمــاء خريجيها من رجال العلم والدعوة والفكر وتم ذلك عن طريق التشاور مع جميع القادة والزعماء ورجال الدين والعلم الذين يمثلون مختلف المذاهب والطبقات •

ولقد أدت الهيئة ــ التى فيها تمثيل لجميع الجماعات والمنظمات والمذاهب والاتجاهات الإسلامية ــ دورا كبيرا فى مقاومة المحاولات الهدامة ، والجهود المبذولة ضــد الأحــوال الشخصية والقضــايا الإسلامية ، وهى دائمة النشاطات دائبة الحركة •• وتعقد من حين لآخر حفلات وندوات عامة وخاصة ، وتقوم بجهد شــامل لتحقيق الغــرض الذى من أجــله أنشئت • ونرجــو لها دوام التوفيــق والازدهار •

شجرة الإخلاص (١)

في إحدى الليالي كنت في المجلس في « دهلي » عاصمة الهند وكان هذا المجلس يضم عددا من أهل العلم والثقافة والصحافة ، وتجاذبنا أطراف الأحاديث ، وتطرق الحديث إلى تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ورجالها البارزين ، وكفاح العلماء الهنود المسلمين في هذا المجال المقدس ، لا سيما الذين قاموا بدور سفينة نجاة بالنسبة للشعب المسلم الهندي في العهد الأخير بعد سقوط الدولة المغولية الإسلامية ، وفي عهد الاستعمار الإنجليزي بالذات فصانوا عقيدته ودينه وشخصيته الإسلامية ، ومنعوه من الذوبان والاندماج والميوعة العقدية والفكرية ، واستطاعوا بتوفيق الله عز وجل وبكفاءتهم العلمية والدينية والفكرية المملوءة بالإخلاص الصانع للمعجزات وخوارق العادات أن لا يدعوا الإسلام يصرع على أرض الهند كما صرع على أرض الأندلس .

وذلك بإيجاد معاقل إسلامية منيعة لا ينفع فيها سيف الاستعمار المادي ، ولا جنوده المجندة وبنوده الخفاقة ، ولا أسلحة الأعداء من كل نوع .. وكان على رأس تلك المعاقل دار العلوم في مدينة ديوبند التي قالوا فيها إنها حقا « شجرة الإخلاص » التي غرستها يد الإخلاص ، فأصبحت دوحة وارفة الظلال مترامية الأغصان ، متعت بظلالها شبه القارة الهندية والبلاد المجاورة ، ثم العالم الإسلامي بأسره .

لقد دار الحديث طويلا حول هذه الجامعة الإسلامية التي بدأت في صورة مصغرة جدا في مسجد قديم — يرجع تاريخه إلى ما قبل مائة سنة بفقيه واحد اسمه « الملا محمود » وبتلميذ واحد اسمه

---

(١) نشر في العدد : ١٢/ السنة ٧ — يوم ١٩٨٤/٤/٢٥ م .

« محمود حسن » على حصير بال تحت ظل شجرة رمان ، ثم صارت على هذه الصورة المكبرة ، التى نراها الآن •

ولإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة الإخلاص وسحره العجيب •

ولقد قام على أمرها رجال بسطاء فى مأكلهم وملبسهم ومعيشتهم ، زهدوا فى الدنيا وزخارفها ، ونذروا حياتهم لله ، يعيشون على كسرة من الخبز الجاف ، ليحدثوا حيلة يمنعون بها الشعب المسلم الهندى من الوقوع فريسة الكيد الذى يحاك ضده ، وليحبطوا مساعى العدو الجبار تجاه تسريب أبناء الإسلام من معسكر سيدنا محمد — ﷺ — إلى معسكر المسيحية المصطنعة والكفر والإلحاد ، ولقد نجحوا فى محاولاتهم على رغم العدو ومع أنهم كانوا ولا يملكون من الوسائل والإمكانيات المادية أو المسائل الدعائية ، أو الأيدى العاملة ما يحتاج إليه المرء اليوم ليحقق أدنى نتيجة فى سبيل الدعوة الإسلامية أو العمل الإسلامى العام •

إن الإخلاص يخلق للإنسان أجنحة كثيرة يطير بها حيث يشاء ، وأيدى كثيرة تعمل فى شتى الجهات ، وألسنة عديدة تتكلم مختلف اللغات ، وأرجلا عديدة تغدو وتروح فى عدد من الجوانب •• بل إنه ينطق الأخرس ، ويسمع الأصم ويمشى الأعرج ، فاقد الرجلين ، ويمنح لفاقد اليدين من قوة العمل والفاعلية ما يكون به مغبوطا لدى من يتمتع بهما •• إنه يجبر كل كسر ، ويوفى كل نقص ، ويكافىء كل وسيلة مفقودة ، ويتلافى كل حيلة غير موجودة !•

نطقت خدماتها ..

فأسمعت الزمان والمكان والتاريخ (١)

إن كل مدرسة ، أو دار علم ، أو مؤسسة ، أو جامعة ، لابد أن تسبق إقامتهـا سلسلة طويلة من الإعـدادادت والتخطيطات ، والمشاريع ، وتوفير الوسائل والإمكانيات المادية ، وقـد تسـبقها دعاوى كبيرة عريضة ، تتحقق حينا ، أو تبقى أحلاما وتصورات فى دنيا الفكر والخيال حينا آخر ، ولذلك فإن كل زائر لهذه الجامعة : الجامعة الإسلامية دار لعلوم — ديوبند (الهند) تعجبه بدايتهـا المتعة ، لقد كانت كتابا صغيرا كل مادته أستاذ واحـد اسمه الملا محمود ، وتلميذ واحد اسمه محمود كذلك ، يجلسان تحت شجرة من أشجار الرمان فى مسجد أثرى صغير .. ثم تطورت مـع بسـاطة لازمتها ومازالت ، لكى تتحول جامعة إسـلامية كبيرة فريـدة بين شقيقاتها فى شبه القارة الهندية خاصة ، وفى آسـيا والعـالم كله عامة .. ولكى تكون أم المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية التى تتحمل مسئولية الحفاظ على الكيان الإسلامى ومحاربة جميع القوى المضادة لمسيرة الدعوة الإسلامية ومد الرسالة الإلهية .

لقد مضى على إنشائها قرن وربع قرن من الزمان ، وهى مـدة طويلة ، ومساحة شاسعة فى التاريخ ، قطعتها الجامعة فى صمت وفى هدوء ، تخرج أجيالا فى العلم ، وتصنع أبطال الإسـلام وصقور الدعوة الإسلامية ، ورجالا أكفاء فى مجالات الوعظ والتوجيه الدينى والتدريس والخطـابة والصحافة والكتـابة والتأليف والخـدمات الاجتماعية ، والقيادة العامة ، ولم تعتن بنشر الأرقام والاحصائيات عبر هذه المدة الطويلة ، ولم تقم بدعايات عن نفسها ، وعن الأعمال الدعوية والتعليمية والفكرية والثقافية والإصلاحية التى حققتها ، حتى صارت ملء شبه القارة الهندية .

---

(١) نشر فى العدد : ٤/ السنة ٨ — ١٩٨٤/١١/٢٥ م .

لقد صمتت لتكون أعمالها هى التى تتكلم ، وسكتت لتدع خدماتها تنطق ، فنطقت بحيث أسمعت الزمان والمكان والتاريخ ، فلا نعرف مدرسة أو دارا أو جامعة حظيت بالقبول والإعجاب والتقدير والسمعة الطيبة ، بمثل ما حظيت هى فى هذه الديار ، لا نعرف مؤسسة تعليمية أو فكرية تركت آثارها فى عمق التاريخ وسعته مثل ما تركته هى باستثناء الأزهر الشريف ، ولا نجد تعبيرا أوفى وأروع عن هذا المعنى ، إلا التعبير الذى أطلقه ضيفان مدنيان موفدان عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة •• زارا الهند فلاحظا آثار هذه الجامعة وثمارها فى كل مكان ، وفى طول المجتمع وعرضه وعمقه ، ثم قصداها فشاهداها بأم عينيهما ، فقالا : والله لكأن المسلمين فى الهند ليسوا إلا جامعة ديوبند ، لقد رأينا جامعة ديوبند فى كل مكان ، فى كل قرية ، وفى كل مدينة ، وفوق كل هضبة وعلى كل سهل •

وهذا ما لاحظه السفير المصرى لدى الهند الدكتور « عمرو موسى » لدى زيارته للجامعة ، (1) فأعجب بها للغاية ، وأبدى إعجابه وعجبه — مرارا — فى حديثه فى حفل التكريم ، وخلال زيارته لمختلف الأقسام والكليات ، وأثناء جولته فى الحرم الجامعى ، وفى المكتبة المركزية بصفة خاصة ، قد أدهشه — حقا — أن كتابا ينمو ويترعرع فى صمت ، ليكون مثل هذه الدوحة المترامية الأغصان، المتكاثفة الأوراق ، التى تغطى بظلالها الفكرية والثقافية والدعويه والإصلاحية كل جزء من أجزاء هذه القارة •

ولكنه زال بعض عجبه عندما سمع بعض حلقة من قصة إخلاص مؤسسيها وأبنائها وهو يجول فى الجناح الخاص بمؤلفات بناتها وأبنائها فى المكتبة اركزية ••

ولقد أعجبته بصفة خاصة بداية الجامعة ، هذه البداية البسيطة

---

(1) كانت زيارته للجامعة فى ١٣/١١/١٩٨٤ م •

الرائعة ، التى عبر عنها هو بالبداية الشاعرية اللطيفة : لقد بدأت بمدرس واحد وبتلميذ واحد يجلسان تحت شجرة فى فناء مسجد ، ليضعا لبنة أولى للقلعة الإسلامية المنيعة التى أراد أن يبنيها مجموعة من المخلصين للدعوة الإسلامية كى تربى داخلها جنــودا مؤمنين ، يهجمون منها على أوكار الجاهلية فى هذه البلاد وفى كل مكان •• وقد نجحت الخطة ، وأعطت ثمارها المرجوة ، وقطفتها الدعوة الإسلامية فى هذه الديار ، فى صورة تثلج اليوم صدر كل من زار هذه القارة ، أو سمع عنها ، أو قرأ أخبارها ••

تحية من مسلمى الهند إلى الشعب الأفغانى المؤمن ٠٠ (١)

وسط خضم المحزنات المبكيات التى تتنساقط علينا أنباؤها من كل حدب وصوب يثلج صدورنا ما نتسامع به من قصة صمود الإيمان فى وجه التكنولوجيا الحديثة على أرض أفغانستان ٠٠ وهى من أحلى قصص البطولة والفداء ، ومن أروع فصول مواقف الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ٠٠

إنها حقا أجمل أمثلة الحب وصدق الولاء والوفاء للإسلام نظيرها فى تاريخنا القريب ، إذ استثنينا مواقف البطولة النادرة والشجاعة المثالية للسادة السنوسيين ، والإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد وأتباعه ٠٠

إن الشعب الأفغانى ضرب أروع الأمثلة فى الجهاد والصبر ، منذ أولى لحظات التدخل العسكرى السوفياتى الشيوعى ، الكافر الفاجر ، الغاشم الغادر ، وحتى الآن ٠٠ وإنه مع طول فترة العناء والمرابطة على الثغر الإيمانى لم يتكاسل ، ولم يتوان ، ولم تفتر همته ٠٠ والضربات القاسية التى يلاقيها لم تستطع أن تفت فى عضده ، وإنما زادته قوة وصلابة ، وتماسكا ومثابرة ، ورفعت من معنوياته وروحه القتالية الصمودية ٠٠ وذلك هو شأن الإيمان حين يحتك بالكفر ، ويتصارع مع الجاهلية ٠٠ إن درجة حرارته ترتفع كلما يواجه مقاومة ويقابل بالضغط ، كالنار يضربها الرجل برجليه أو يرش عليها الماء — يحاول إطفاءها — فتشب ٠

ونحن نعيش هذه التجربة فى بلادنا التى تجرى فيها — دائما — عمليات الاحتكاك بين الشعب المسلم والوثنيين عباد البقر ، فتزيد الإنسان المسلم قوة وصلابة فى الدين ، ورجوعا إلى الله ، وإقبالا

---

(١) نشر فى العدد : ٣/ السنة ٦ — يوم ٢٥/ نوفمبر ١٩٨٢ م ٠

على أحكام الإسلام •• وظاهرة الاحتكاك والصراع هذه ربما أكسبت المسلمين فى الهند روح التشبث بأهداب الدين وجعلتهم قد يفوقون فى رقة الوعى والعاطفة والحماس الدينى ، إخوانهم فى بعض البلاد الأخرى التى لا تعيش هذه التجربة •

لقد كنا نسمع منذ نعومة أظفارنا عن شدة الغيرة الدينية التى يتميز بها الشعب الأفغانى ، وكنا نقرأ ونحن نجتاز مرحلة التحصيل فى المدرسة الابتدائية أبيات الشاعر الإسلامى الدكتور « محمد إقبال » التى أشاد فيها بذكر تلك الغيرة العميقة الجذور فى قلوب الأفغان ، فلا نعير ذلك اهتماما ، ولا نفهم له معنى ، حتى حدث غزو السوفيت — ذلك الدب الأحمر الخبيث — لأفغانستان المسلمة الشقيقة ، فأغنانا الشعب الأفغانى المؤمن الباسل بمواقفه الإيمانية العجيبة عن كل شرح وبيان ••

إن الأفغان لا يعرفون فى قواميس حياتهم إلا الإسلام والإيمان إنهم يعيشون مسلمين ، ويفضلون أن يموتوا قبل أن تشرق عليهم شمس يوم يتنكرون فيه للإسلام ويغيرون عنه الولاء لأى ديانة ملحدة ، أو فلسفة كافرة ، أو دعوة فاجرة ، وهم من أقوى الأمم على أرض الله ، عرفوا بالصلابة وشدة الشكيمة وقوة الصمود ، والتفانى للعقيدة التى احتضنوها والدعوة التى آمنوا بها منذ أقدم الزمان •• إنهم لقنوا كل من غزاهم أقسى الدروس منذ عصر الإسكندر إلى عصر بريطانية العظمى ، مما أحوج الغزاة إلى أن يدفعوا أبهظ ثمن لتخبطهم وتورطهم فى القيام بالزحف •

ولذلك فالجيش السوفياتى رغم ازدياد عدده — أضعافا — على ما كان عليه عند بداية الغزو ، ورغم أسلحته الحديثة ، وعدده المتوفرة ، وأمداده المتتابعة ، ورغم ما اتصف به من البربرية والوحشية والتدمير والتخريب ، لم يستطع أن يلين قناة الشعب الأفغانى ، ولم ينجح فى كسر حدة المقاومة المؤمنة وفى تطويعها للمذهب الشيوعى ••

وإن الجنود الحمر يمتلئون ذعرا وهلعا داخل حامياتهم العسكرية ، ولقد انخفضت معنوياتهم إلى أدنى درجة ٠٠ وتحمل إلينا الأنباء — من حين لآخر — انتصارات الإيمان الرائعة ، وروائع الهجمات الموفقة التى تلقى فيها القوات الحمر مصرعها المحتوم ٠

وقد نشرت الصحف فى الأيام الأخيرة نبأ اختناق ٢٠٠٠ أفغانى موالين للغزو الأحمر ، و ٧٠٠ جندى سوفيتى نتيجة توهم وقوع عملية فدائية ٠٠ وكم نشرت الصحف أنباء الأفغان المجاهدين لأسلحة العدو بأساليب لبقة ، وخدعة ذكية ، ومناورة بارعة تمدها فراسة الإيمان ، يشنون بها الهجوم على معسكرات الروس ويسقطون بها طائرتهم القتالية الحديثة ٠

وقد كسب المجاهدون استجابة طيبة فيما بين جيش الحكومة الأفغانية ، المسيرة بروسيا والموالية لها ، حتى تواتر النبأ أخيرا عن انخفاض خطير فى الجيش الأفغانى ، مما اضطر السوفيات إلى القيام بزيادة عدد قواتهم الغازية لمواجهة الهجمات العنيفة التى يشنها المجاهدون ٠٠

وكذلك كان التجاوب الطيب من جميع دول عدم الانحياز ، ومن الدول الإسلامية والعربية — ماعدا اليمن الجنوبية وسوريا وليبيا — حيث أعربت عن شجب واستنكار عام ٠

وأما العقيد الليبى « القذافى » الذى عرف منذ اليوم الأول بابتعاده وشذوذه عن الموقف الإسلامى ، فقد كان أكثر من أيد الإجراءات السوفياتية فى كل من أفغانستان وبولندا ، ولا غرو فالشىء من معدنه لا يستغرب ٠

إننا نناشد العالم الإسلامى ألا يفوت الفرصة ، ولا يخسر الجولة فى أفغانستان ، كما خسرها — فى فلسطين ولبنان وأريتريا وشتى الأنحاء ٠٠ وإذا كان الأفغان بدورهم قد أثبتوا غيرتهم الإسلامية وتفانيهم واستماتتهم العجيبة على ساحة المعركة فعلى المسلمين فى كافة الأنحاء أن يكونوا بجانبهم بالتحرك العملى المثمر

حتى لا تكون باكستان المسلمة وحدها متحملة للأعباء التى بدأت تترك على اقتصادها آثارا سيئة ، من أجل إيواء مليونين ونصف مليون من اللاجئين الأفغان ، وحتى لا يدفع ذلك باكستان إلى أن تستعد — لا قدر الله ذلك — لتقديم بعض تنازلات ، لاسيما موسكو تحاول — بحيلة أو بأخرى كسب الوقت من أجل جلب تعزيرات عسكرية إلى أفغانستان ، بغية القضاء نهائيا على المجاهدين .. ولئن مات بريجنيف وجاء اندروبوف ، فذلك لا يغير فى الموقف شيئا ، لأن سياسة الدول العظمى لا تتبدل بغياب القادة عن الساحة .

فهل من مجيب ؟

درس لمسلمى الهنـــد :

إنهم فى أفغانستان سدا عاليا أمام سيل عارم (١)

يدهش المرء حقا عند ما يرى المجاهدين الأفغان يصمدون فى وجه إحدى القوتين العظميين منذ ست ســنوات ، وهم لا يحملون من الأسلحة والعتاد إلا ما يعادل الصــفر بالقيــاس إلى أسلحتها الجبارة التقليدية والحديثـــة ، التى أنتجتها تكنولوجيتها المتطــورة الراقية •• ولكن يزول العجب عنــد ما يعلم أن الإيمـان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد — ﷺ — نبيا ورســولا هو الذى جعلهم يصمدون هذا الصمود •• وإن الإيمان الحى هو سبب العطاء الدائم وصانع المعجزات فى كل زمان ومكان •

إن المجاهدين الأفغــان أثبتوا عبر ست ســنوات وسيثبتون بعدها كذلك ، أن الإيمان الأعزل — إذا أخلص صاحبه النية وأراد أن تكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى — يستطيع دائما ومهما تقدم أبناء الزمان أو تخلفوا أن يصمد فى وجه الكفر والإلحاد المسلح بكل أنواع الأســلحة •• إن الســماء والأرض ستسجلان بحروف من نور قصة البطولة الأفغانية المعاصرة ، لكى تكون ذكرى وعبرة للأجيال المتلاحقة ، تحكى لهم كيف استطاعت مجمــوعة من المجاهدين العزل ، الذين لا يجدون ما يسدون به حاجاتهم المتواضعة، فضلا عن الأسلحة والعتاد الذى يدافعون به أو يهاجمــون ، كيف استطاعت أن تصمد هذا الصمود فى وجه قوة عظمى فى العالم •• إذا إنه الإيمان المتغلغل فى الأحشــاء ، المســيطر على الجوارح ، الفاعل فعله فى القلوب ، إنه الإيمان يحارب الكفر الذى لا يستطيع أن يعطى صاحبه القوة والثقة والمناعة والقناعة •• وكم من فئـــة

---

(١) نشر فى العدد : ٨/ السنة ٩ — يوم ١٠/١/١٩٨٦ م •

قليلة العدد والعدد صابرة محتسبة غلبت فئة كثيرة العدد والعدد باغية كافرة فاجرة بإذن الله .

ولو أن ما يصنعه المجاهدون الأفغان لا يعدو مجرد صمود فى وجه هذه القوة الجبارة الهائلة الفائقة عليهم بكل مقاييس القوة المادية لكان موضع الاستغراب والسرور .. فما بالك إذا وضعت فى الاعتبار ما تفيده التقارير الحديثة عن وضع الجهاد الأفغانى مع تلك القوة الكافرة والكثرة الفاجرة ، من أنه فى مقابل كل مجاهد أفغانى يسقط شهيدا على ساحة الجهاد ، فى مقابله يذهب إلى نار جهنم خمسة من جنود الإلحاد الشيوعى ، وأن الاتحاد السوفيتى يخسر كل عام عددا من المليارات من العملة الصعبة ، التى يستغرقها الإنفاق على إمداد نحو مائة وعشرين ألف جندى بالتموين والسلاح والإنفاق على الحكومة المأجورة الملحدة الباغية القائمة على أكتاف الشيوعية السوفيتية الحمراء الخبيثة فى « كابول » بقيادة العميل المطيع « بابراك كارميل » وأن المجاهدين لا يحصلون إلا على خمسة عشر فى المائة (١٥٪) من احتياجاتهم الحقيقية ، وأن معظم الأسلحة التى يحاربون بها إنما ينزعونها من أسرى الاتحاد السوفيتى ومهزوميه وقتلاه .

ويعظم صنيع هؤلاء المجاهدين الصابرين المحتسبين بدرجات ممتازة إذا أخذنا فى الاعتبار أنهم بجهادهم وصمودهم أمام هذه القوة الكافرة لا ينقذون أفغانستان المسلمة فقط من مخالب روسيا القذرة ، ولا يعملون على إبقاء هويتها الإسلامية وطابعها الإسلامى فقط ، وإنما هم — بجانب ذلك — يبنون سدا عاليا أمام سيل الشيوعية العرمرم المتجه إلى جميع البلدان والأقطار الإسلامية المجاورة ، وعلى رأسها وفى طليعتها باكستان .. ومن يعرف التقارير والتحليلات العالمية التى صدرت عقب اجتماع القمة بين العملاقين فى الأيام الأخيرة يعلم أن واشنطن أعطت الكريملين الضوء الأخضر للامتداد فى هذا الاتجاه ، انطلاقا من أساس توزيع مناطق النفوذ بينهما ، وجعلهما شعوب الأرض ككرة تتقاذفانها فى قسوة ، ودونما

رحمة ، مع تحديد ميعاد بينهما لرميها فى مرمى الأخرى بهدف التعادل بينهما فى مباراة تجربة القوة وموازنة الرعب .

ولو رأينا القضية فى هذا الإطار الشامل الواسع الواقعى لعرفنا مدى ضخامة المسئولية التى تجب على المسلمين جميعا نحو إخوانهم المجاهدين الأفغان .. وعرفنا بعد استعراض عابر مدى تقصيرهم فى أدائها ومدى إهمالهم للقيام بالواجب عليهم فى هذه المعركة المصيرية الدائرة بين الكفر والإسلام .

إن المسلمين ــ ولا تنقصهم بفضل من الله القدرة المالية والبشرية والقتالية ــ لو أدوا عشر معشار المسئولية الواجبة عليهم تجاه هؤلاء المجاهدين لكان شأن هذه المعركة غير شأنها الآن .. ولو أنهم شعروا بمسئوليتهم شعورا عمليا مثمرا نحو القضية الفلسطينية لما طال أمر تحرير المسجد الأقصى ، واستعادة الارض العربية المحتلة لهذا الأمد .. ولكننا تعودنا التقصير والإهمال والغفلة فى جميع الأمور بسبب غياب الوعى الإسلامى والشعور الدينى والغيرة العقدية والحمية الإيمانية ..

يجب على المسلمين جميعا أن يعيشوا مع القضية الأفغانية على اختلاف طبقاتهم وقطاعاتهم ، لأنهم مسئولون عن ذلك أمام ربهم العظيم .. وليشعروا فى هذا الصدد عظيم المسئولية ، وخطورة القضية ، ولا يقصروا فى أى عون يستطيعون تقديمه على أى مستوى ..

وإن شعبنا الهندى المسلم الذى يزيد عدده عن عدد المجاهدين الأفغان سبعة أضعاف ، يستطيع أن يستفيد من الدرس الأفغانى ويستوعبه .. فقط أن يقرر الإقلاع من مستنقع السكون والتفرقة وحب الحياة .. حتى الموت ..

ومرة أخرى نقول لشعبنا الهندى المسلم — مستفيدين من دروس الأفغان — :

إن الذى تعلم صناعة الموت وحذقها ، لا يرهب الموت ، وإنما الموت هو الذى يرهبه فيبتعد عنه ، والذى لا يخاف الموت لا يخاف عدوا مهما كان ، ولا يخاف قوة مهما كانت جبارة طاغية ، ولا يخاف — وهو قليل أعزل — كثيرا مهما كان مدججا بكل نوع من الأسلحة والمعدات ، والقليل غير الخائف من الموت أقوى برصيده المعنوى ، من الكثير الذى يخاف الموت رغم ما يملكه من الجنود والبنود ، والحول والطول ، والأمداد التى لا تنفد ، ووسائل المكر والدهاء ، والخبث والغدر والخيانة ، والتعذيب الوحشية .

وعندما يتلاقى الذى يخاف الموت والذى لا يخاف الموت فى الميدان يرى الأول من الثانى موقفا كله عجب ، وكله معجزة ، فيدهش له عندما يقارن بين غنائه فى العدد والعدد ، وفقر خصمه فى ذلك ، وكم من مرة فى التاريخ الإنسانى — والتاريخ الإسلامى بالذات — وقف الدهر ليسجل بحروف من نور ، موقف القليل الأعزل المعجز ، تجاه الكثير المتخم بالوسائل والمعدات ، وكم من مرة وقف حائرا أنفاسه عندما رأى القليل المفلس فى المعدات الحربية ، يصطدم بالكثير ذى الجيش الجرار والعدد الهائلة ، ورأى القليل أن نسبته من هذا الكثير كنسبة قطرة من اليم ، وكل المؤشرات الظاهرة تؤكد أن القليل سيكون بعد دقائق لقمة سائغة للكثير الذى يبتلعه عن آخره ، ولكنه سجل فى حيرة وإعجاب انتصاره على الكثير ، انتصارا خارقا كذب كل الظنون .

ذلك لأن الكثير فى ظاهره كان قليلا فى باطنه ، وكان يبدو قويا ولكنه كان فى حقيقته ضعيفا ، كان مثقلا بالوسائل والمعدات ولكنه

---

(٢) نشر فى العدد ٨/ السنة ٨ — يوم ١٩٨٥/٢/٢٥ م .

كان أعزل مفلسا فى الرصيد المعنوى ، الذى هو أقوى الوسائل ، والآلات التى لا تخون ، وأمضى الأسلحة التى لا تعرف الانكسار والفتور .

إن المرء لا يحارب بالوسائل والكثرة الكاثرة من المعدات والآلات ، بمثل ما يحارب بما حذقه من صناعة الموت التى لا يعرفها خصمه ، ولا يحارب إلا بقوة العقيدة الملهبة للأفكار والمشاعر والأحاسيس ، وبقوة الهدف الدفاق الذى يخلق فيه القوة والعزيمة والتصميم على المضى نحو الغاية بحيث لا يقف فى سبيله شىء من العقبات .

وإن ذلك هو الذى نلمسه اليوم فى موقف الشعب الأفغانى المؤمن تجاه إحدى القوتين العظميين فى العالم الإنسانى المعاصر ، القوة السوفياتية الجبارة التى أخضعت كثيرا من الدول ، وقهرت كثيرا من جحافل الجيوش فى العالم ، ولكنها لم تستطع عبر مدة خمس سنوات أن تلين قناة هذا الشعب الأبى الغيور ، الذى نهض يجابه أحدث الأسلحة الجبارة ببنادق بدائية ، ويصمد فى وجه الجيش العرمرم الذى لديه كل ما اخترعه العلم الحديث من آلات الإبادة والتدمير والتكتيك الحربى والاستراتيجية العسكرية .. نهض الإيمان الأعزل الذى لا يخاف الموت ليحارب الإلحاد المسلح الذى يخاف شبح الموت ، والنتيجة معلومة لدى الجميع .. إن هذا الشعب أضاف إلى تاريخ المعجزات التى صنعها الإيمان والعقيدة عبر الزمن صفحات ناصعة البياض سطرها بدمه القانى الزكى ..

وهنيأ لهذا الشعب هذا الصمود والتفانى ، وهذا النضال الباسل الفريد ، وليصدق فيه ظن المؤمن فى كل مكان ، وليثبت كالطود الأشم الشامخ فى وجه الاستعمار الملحد الوحشى الذى لا يرى فى مؤمن — بل ولا فى إنسان — إلا ولا ذمة .

إن موقف الشعب الأفغانى المؤمن الذى عرف فى تاريخه بحذقه صناعة الموت ، إن موقفه هذا الشجاع الفريد فى التاريخ الإسلامى

المعاصر من إحدى القوتين العملاقتين فى العصر الحاضر قد دل مرة أخرى على أن القليل يستطيع أن يضيق خناق الكثير ، وأن الأعزل قد ينتصر على المسلح ، وأن الضعيف قد يغلب القوة ، وأن أمة إذا نهضت بكل إرادتها ومقوماتها الإيمانية ورصيدها المعنــوى لتقرر مصيرها بنفسها ، ولتكتب صفحات حظها بأيديها ، وتصمم على أنها إما أن تبقى عزيزة .. مكرمة شامخة لا تقبل الذل والهوان والخضوع والتبعية ، وأن تبقى بكل أصالتها التاريخية والحضــارية والثقافية والدينية والعقيدية ، أو تموت دون ذلك ، وتضحى فى سبيله بآخر قطرة من دمها ، فعندها لا تستطيع أقوى قوة أن تخضعها لما تريد ، أو أن تصرفها عن إرادتهــا ، ولو استخدمت كل ما تملكه من قــوة الحديد والنار ووسائل الإبادة والتدمير ، أو الوحشية والتعذيب .

وليسجل التاريخ مرة أخرى هذا الموقف المشرف لهذا الشعب الذى رضى بالله ربا وبالإســلام دينا ، وبمحمــد نبيا ورســولا ، وليشهد الزمان أنه قد نهض ليوفى ما عاهد عليه الله ، فمنه من قضى نحبه ومنه من ينتظر ، وما بدل تبديلا .

الفهـــــــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

رقم الإيداع ٢٧٣٧ ـ ٨٨

الترقيم الدولي ٧ ـ ٣٠ ـ ١٤٣١ ـ ٩٧٧

مطبعة عبير للكتاب والأعمال التجارية

١٦ شارع لمعى المطيعى ـ حدائق حلوان

تليفون : ٦٨٨٤٨٤